النهضة عند الإمام علي "ع"

محمد علي الرشهري

دار الهادي

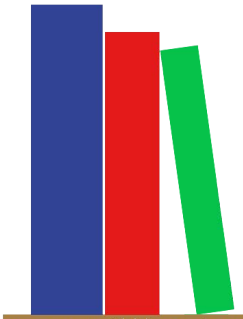

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

ديمومة النهضة

دَيمومة النهضة
عند الإمام علي "ع"

محمد علي الرشهري

دار الهادي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٨٢١٢٠٣

ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

من بين القضايا المرتبطة بمصير الإسلام ، بل وبمصير جميع مستضعفي العالم وحكومتهم العالمية وامامتهم ، تُطرحُ قضية «ديمومة الثورة» كأهم تلك القضايا وأكثرها حساسيةٌ وفوريةً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران .

واستناداً على القاعدة العلمية والقرآنية التي تنصُ على أن الإنسان هو الذي يعدُد مصير المجتمع والتاريخ[1] ، وأن للأمة وللتاريخ أيضاً كباقي الظواهر الأُخرىٰ ، سننٌ وضوابطٌ ، وأن القوانين التي تحكم التاريخ ، قوانينٌ ثابتةٌ ، كالقوانين التي تحكم سائر الظواهر الأُخرىٰ ، لا تتقبل

(١) ﴿ إنَّ اللّهَ لا يغيّرُ ما بقومٍ حتّىٰ يغيّروا ما بأنفسهمْ ﴾ سورة الرعد ، الآية : ١٠ .

التغيير[1] ، استناداً على هذه القاعدة العلمية فان ديمومة الثورة أيضاً لا يمكن أن تكون دون ضوابط وقوانين يجب ان تراعىٰ بصورةٍ دقيقة ، أي يجب أن تُشخص عوامل ديمومة الثورة بصورة دقيقة وكذلك موانع استمرارها ـ عبر المطالعة الدقيقة للتاريخ ، ومن ثم ينبغي إيجاد وتحقيق تلك العوامل وتجنب تلك الموانع بصورة كاملة كي تُضمن ديمومة الثورة ، وإلا فالثورة لن تدوم والانتفاضة لن تستمر بالشعارات وحدها والشعار إذا كان بدون مراعاةٍ للقوانين التي تسير التاريخ ، لا يعدو أن يكون أكثر من عملية إلهاءٍ وتضليل .

ولمعرفة سر ديمومة الثورة فان التاريخ هو أفضل وأدق المنابع إذ أنه يستطيع أن يوضح بصورة دقيقة سر سقوط أمة ما ، وعلة ديمومة ثورة ما ، وقد وردت القصص والأحداث التاريخية المهمة في القرآن الكريم من أجل بيان هذا السر بالدرجة الأولىٰ[2] .

والإمام علي (عليه السلام) ، يصرح في نهج البلاغة بهذه الحقيقة ، ويستند إلى التاريخ باعتباره منبعاً للمعرفة

---

(١) ﴿ ولنْ تجدَ لسنّةِ اللّهِ تبديلاً ﴾ سورة الفتح ، الآية : ٢٣ .
كما للأستاذ الشهيد الصدر بحثاً مفصلاً حول هذا الموضوع في كتابه مقدمات حول التفسير الموضوعي للقرآن .

(٢) ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

التجريبية والمقررة للمصير فيقول(ع) :

«واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال ، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم ، واحذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم ، فالزموا كلَّ أمرٍ لزمت العزةُ به حالهم ، وزاحت الأعداءُ عنهم ومُدّت العافية به عليهم ، وانقادت الدنيا معهم ، ووصلت الكرامة عليه حبلهم . . .»[1] .

ومن هذا المقطع من كلام الإمام (عليه السلام) يمكن استفادة عدة مطالبِ علمية دقيقة :

ألف : أن التاريخ هو مصدرٌ للمعرفة الدقيقة والتجريبية .

باء : أن للتاريخ قوانين وسنن .

جيم : وأن القوانين التي تحكم التاريخ هي قوانين ثابتةٌ .

دال : وأن الإنسان هو عامل الحركة في التاريخ لا شيء آخر .

هاء : وإن ديمومة الثورة وإقامة المجتمع الإنساني

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٦٨ .

المتكامل ، مرتبطان : بصورة مباشرة بمراعاة السنن التي تحكم التاريخ .

إذن فالدراسة الدقيقةُ والتحليلية لتاريخ الأمم السالفة من أجل معرفة سر ديمومة الثورة ، هذه الدراسةُ تعتبرُ بالنسبة لإيران اليوم أمراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه ، ولكن ولأن هذه الدراسة بمختلف جوانبها ، أمرٌ لا يتيسر لعامة أفراد الشعب الإيراني الناهض والشجاع ، هذا من جهة ومن جهة أُخرىٰ لكون الجواب على هذا التساؤل ومعرفة سر ديمومة الثورة الإسلامية في العصر الحاضر أمرٌ ضروري وفوريٌ للغاية ، لكل ذلك فعلينا أن نرجع في هذا الأمر إلى عالم بالمجتمع وخبيرٍ مطلعٍ ، يمتلك اطلاعاً كافياً ودقيقياً على تاريخ جميع الأمم ويعرف سر انتصار وعلة سقوط جميع الأمم .

وهذا الخبير العظيم بالمجتمع هو الإمام علي عليه السلام ، الذي يحدّث ابنه الإمام الحسن (ع) حول معارفه التاريخية فيقول عليه السلام .

«يا بني ، اني وإن لم أكن قد عمرتُ عمر مَن كان قبلي ، فقد نظرتُ في أعمارهم ، وفكرت أخبارهم ، وسرتُ في آثارهم حتىٰ عدتُ كأحدهم بل كأني بما انتهىٰ إليّ من أمورهم ، قد عمرتُ مع أولهم وآخرهم ، فعرفتُ صفو ذلك

من كَدَرِهِ ، ونفعَهُ من ضرره . . . »[1] .

وعلى هذا الأساس فنحن وضعنا آراء الإمام علي (ع) في هذا المجال أساساً للبحث في كتابنا هذا ، باعتبارها نظرية أكبر عالم في الاجتماع في تاريخ البشرية وأكبر عارف ، فيما يتعلق بسر ديمومة الثورة الإسلامية بعد الرسول الأعظم (ص) .

«المسؤوليات المتقابلة»

فيما يتعلق بديمومة الثورة ، هناك مسؤولياتٌ تقعُ على عاتق الكادر القيادي تجاه المجتمع الثوري ، وهناك أيضاً مسؤولياتٌ تقع على عاتق المجتمع تجاه الكادر القيادي ، ولو عُمل بتلك المسؤوليات بصورة صحيحة ، وفي الوقت المناسب ، فلا شك حينئذٍ في بقاء الثورة الإسلامية وديمومتها .

وهذه المسؤولياتُ المتبادلة عرضت في نهج البلاغة تحت عنوان الحقوق المتبادلة بين المسؤولين والشعب .

---

(١) نهج البلاغة الرسالة رقم ٣١ ، وبحار الأنوار ج٧٧ ص٢٠١ ، والمذكور في المتن مطابق لما في البحار الذي نقله عن كشف المحجة للسيد ابن طاووس والنص الوارد في نهج البلاغة «نظرتُ في أعمالهم» بدلاً من «نظرتُ في أعمارهم» .

في الخطبة رقم ٢١٦ ، وبعد أن يوضح الإمام علي (ع) أن للحق دائماً طرفين وأن ليس لأحدٍ على أحدٍ حقٌ إلا بصورة ، متبادلة ، في هذا السياق وفيما يتعلق بأعظم تلك الحقوق يقول عليه السلام : ـ

«وأعظم ما افترض ـ سبحانه ـ من تلك الحقوق ، حق الوالي علىٰ الرعية ، وحق الرعية علىٰ الوالي ، فريضةٌ فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كل ، فجعلها نظاماً لأُلفتهم وعزاً لدينهم ، فليست تصلحُ الرعية إلا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية ، فإذا أدت الرعيةُ إلى الوالي حقَهُ وأدىٰ الوالي إليها حقها ، عزَّ الحقُ بينهم ، وقامت مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على إذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان ، وطُمعَ في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غَلَبَتْ الرعيةُ واليها ، أو أجحفَ الوالي برعيته ، اختلفت هناك الكلمة ، وظهرت معالم الجور وكَثُرَ الادغال في الدين وتُركت محاج السُّنن ، فعُملَ بالهوىٰ وعُطلت الأحكام . . .» . وعلى أساس المسؤوليات المتبادلة بين الكادر القيادي والأمة ، فأننا عرضنا في هذا الكتاب موضوع ديمومة الثورة على قسمين :

القسم الأول : ويتعلق بمسؤوليات الأمة فيما يرتبط بديمومة الثورة الإسلامية .

القسم الثاني : ويدور حول مسؤوليات وواجبات قادة هذه الثورة فيما يتعلق بديمومتها .

القسم الأول

مسؤوليات الشعب تجاه ديمومة الثورة الإسلامية

* حفظ الوحدة .

* الجهاد الأكبر .

* خطر الحركات الملفقة

* ديمومة القيادة المبدئية .

* لا . . لصنمية الشخصيات .

* الثورة الثقافية .

* مكافحة الذنب .

* عدم الخوف من الموت الأحمر .

* تشخيص المنافقين .

الفصل الأول

حفظ الوحدة

الاتحاد مع الماركسية

« . . . وأيم الله ، ما اختلفت أمةٌ قطّ بعد نبيّها . . إلا . . . ظهر أهل باطلها على أهل حقها . . . إلّا ما شاء الله . . . . » .

في نهج البلاغة . . جاء في الخطبة القاصعة (خطبة رقم ٢٣٨) أطولُ حديث . للإمام عليه السلام فيما يتعلق بسر ديمومة الثورة وعلة هزيمتها .

وفي هذه الخطبة يُقسم حديث الإمام علي (ع) فيما يتعلق بالأمر المتقدم إلى خمسة أجزاء هي : ـ

الجزء الأول : ويتعلق بأن التاريخ هو منبعٌ للمعرفة

التجريبية ، وأن له ضوابط وقوانين ، وأن القوانين التي تحكم التاريخ ثابتةٌ ، وأن لديمومة الثورة علاقةٌ مباشرةٌ بالرعاية الدقيقة لتلك القوانين .

الجزء الثاني : ويتناول توضيح مبدأ وأصل عامٍ يتعلق بديمومة الثورة .

الجزء الثالث : ويتناول توضيح قاعدة عامة تتعلق بهزيمة الثورة .

الجزء الرابع : وهو تحليلٌ لنموذج عيني واقعي تاريخي يمتد من زمان الحكومات الكسروية والقيصرية إلى ظهور الإسلام وانتصار الثورة الإسلامية بقيادة نبي الإسلام الأعظم (ص) .

الجزء الخامس : وهو التنبؤ بانحطاط وسقوط الثورة الإسلامية في الصدر الأول للإسلام تبعاً للقوانين التجريبية التاريخية .

والجزء الأول من كلام الإمام ذكر في مقدمة الكتاب ، فلا نكرره مرةً أُخرىٰ وأما الجزء الثاني فهو : ـ

«الأصل العام لديمومة الثورة»

في هذا المقطع يُبين الإمام (ع) سر ديمومة الثورة بهذه

الصورة : ـ

. «فالزموا كلَّ أمرٍ لزمت العزةُ به حالهم . . . من الاجتناب للفرقة واللزوم للألفة . . . والتحاض عليها والتواصي بها . . . » .

فبعد إثبات حقيقة أن التاريخ هو أحدُّ منابع المعرفة وان له ضوابط وقوانين ، وأن القوانين التي تحكمه ثابتةٌ تنطبق على الحالات المشابهة ، بعد إثبات هذه الحقيقة يجب معرفة ، ماذا كان وما هو عامل عزةٍ وعظمة وتقدم الأمم المتحضرة ، وما هو عاملُ تحصينها من هيمنة القوىٰ الأجنبية ؟ ! فهو العامل الذي ينبغي أن يُراعىٰ بصورةٍ دقيقةٍ ، وأن يُوجد في المجتمع الثوري من أجل ديمومة الثورة .

الإمام (ع) في العبارة المتقدمة يعتبرُ «تجنب الاختلاف والالتزام بالوحدة والتعاون بين طبقات الأمة» ، يعتبره قانوناً عاماً يراه ضرورياً لديمومة الثورة ، استناداً على تجربتهِ التاريخية الشخصية ، وفي موارد أُخرىٰ من نهج البلاغة يُطرح هذا الأصل بعنوان قانون ، عام : ـ

«إنه لم يجتمع قومٌ قط على امرء إلا ، اشتدَّ أمرهم واستحكمت عقدتهم . . . . . »[1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٨٥ .

ثم يوضح الإمام ان تحصن أي قوم بقوة الإتحاد هو سبب نزول الرحمة الإلهية عليهم فيقول عليه السلام : ـ «لم يتمنع قومٌ قط إلا رفع الله عنهم العلة وكفاهم جوانح الذلة ، وهداهم إلى معالم الملّة . . . »[1] .

«أصل عامٌ لهزيمة الثورة»

وفي الجزء الثالث من كلامه يُشخص الإمام (ع) سر هزيمة الثورة بقوله : «واجتنبوا كلَّ أمرٍ كسر فقرتهم ، وأوهن منّتهم ، من تضاغن القلوب ، وتشاحن الصدور ، وتدابر النفوس ، وتخاذل الأيدي» .

وفي هذا القسم يشيرُ الإمام في البداية إلى الضابط العام لهزيمة الثورة ويذكر أن من الضروري اللازم لديمومة الثورة ، التجنبُ عما يفكك العمود الفقري للأمة والمجتمع الثوري ، ثم يوضح (ع) أن الذي يقصم العمود الفقري للمجتمع الثوري عبارةً عن «تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الأيدي» .

إذن واستناداً على ما تقدم واستناداً على تجربتِهِ التاريخية فالإمام يعتبرُ هذا التضاغن والتحاسد يعتبرها أصلاً عاماً يحول دون ديمومة الثورة ويسبب هزيمتها في الظروف التاريخية

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٨٥ .

المشابهة ، وقد ورد هذا الأصل العام في مواقع أُخرىٰ في نهج البلاغة .

«وأيم الله ، ما اختلفت أُمّةٌ قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها . . إلا ما شاء الله»[1] .

وفي كلام آخر للإمام ، يُحذر (ع) المجتمع الإسلامي بشدة من التفرقة المهددة لهويته ويُعلن بصراحة أنه واستناداً على قانون عام ـ لم تصل في الماضي ولن تصل في المستقبل أيةُ أمة إلى السعادة والرفاه بالتفرقة والاختلاف .

«إياكم والتلون في دين الله . . . ، فإن جماعةً فيما تكرهون من الحق ، خيرٌ من فرقةٍ تحبون من الباطل ، وإن الله سبحانه لم يعطِ أحداً بفرقةٍ خيراً ، ممن مضىٰ ، ولا ممن بقىٰ»[2] .

ويُصرح الإمام (ع) في كلام آخر بأن القانون المذكور عامٌ وقاطع بحيث ان الحق ينهزم بالإختلاف وينتصر الباطل بالإتحاد ، حتى لو كان لأنصارِ الحق قيادة حازمة كعلي عليه السلام يقول (ع) : ـ «والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٥ ص١٨١ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٠ ص٣٣ .

حقكم . . . »[1] .

ويقول عليه السلام في كلام آخر له : ـ

«إلزموا السواد الأعظم ، فان يدَّ الله مع الجماعة وإياكم والفرقة ، فان الشاذَ من الناس للشيطان ، كما أن الشاذ من الغنم للذئب»[2] .

ومما يُلفت الإنتباه ويستحق التأمل في هذين المقطعين من كلام الإمام (ع) هو ان الإمام لم يعتبر امتلاك الجيش القوي أو الثقافة الغنية أو الاقتصاد السليم وأمثال هذه الأمور ، لم يعتبرها أنها هي عامل النصر والرفاه والسعادة وديمومة الثورة ، كما أن لم يعرّف الضعف السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي ، بانها عامل هزيمة وانتكاسة المجتمعات الثورية ، بل إنه (ع) ذكر في جملةٍ واحدة «أن الإتحاد هو عامل الإنتصار وديمومة الثورة والاختلاف هو سر الهزيمة» .

وبديهيٌ أن الإمام (ع) لا يُريد هنا أن ينفي دور القوة العسكرية والسياسية والإقتصادية والثقافية في انتصار وديمومة الثورة أو هزيمتها ، بل إن المقصود هو بيانُ الدور الأساسي والرئيسي للإتحاد والإختلاف في ديمومة الثورة وفي

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٥ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج٨ ص١١٢ خطبة ١٢٧ .

هزيمتها ، وكذلك بيانُ قاعدة عامة وسنة من سنن الخلق فيما يتعلق بالظواهر التاريخية ، وهي أنه وبحدة الكلمة لن تكون لأيّةِ قوة طاقة المقاومة أمام المجتمع الثوري وأن مع اختلاف الكلمة لن تستطيع أيةُ قوةٍ كانت أن تحول دون هزيمة الحتمية للأمة .

ونظريةُ الإمام هذه قد جُربت في تاريخ إيران العاصر ورأىٰ العالم كيف أن الشعب البطل والمنتفض في إيران قد استطاع الصمود رغم أنه كان بأيدٍ خالية ، في مقابل جميع القوىٰ الكبرىٰ وذلك بالاعتماد على وحدة الكلمة والإيمان بالله تعالى ، وكيف استطاع الإنتصار على أكثر المعدات العسكرية تطوراً في العصر الحاضر .

تحليلٌ لعينةٍ واقعية من التاريخ :

ثورتان لم تدوما

وبعد توضيح سلسلة الأُصول العامة «من الوجهة الفلسفية ووجهة علم الاجتماع» ، والتي أشير إليها في المقاطع الثلاثة السابقة بعد ذلك يذكر الإمام في المقطع الرابع من كلامه نموذجاً (عينة) من التاريخ ، ويشرع في تحليلها .

ففي هذا القطع يدور الحديث حول ثورتين لم تدوما ، وحول قصة أمةٍ كانت تعيش ظروفاً شاقةً وقاسيةً للغاية ، تحت

تعذيب الجلاوزة ، وفي ظل استغلال المستغلين الأقوياء والفراعنة والملوك الظالمين ، ثم وقعت الثورة وانتصر المظلومين على أعدائهم وتحرروا من الظلم ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يُديموا ثورتهم ، ومرةً أُخرىٰ واستناداً على أساس نظام الخلق الثابت وسنة التاريخ التي لا تبديل لها ، انتكست وانهزمت الثورة ، ووقعوا مرةً أُخرىٰ في شرك عبودية وأسر واستغلال الكياسرة والقياصرة ، وبعد فترات من الأسر ، وقعت ثورةٌ أُخرىٰ بقيادة نبي الإسلام العظيم صلىٰ الله عليه وآله ، فحطمت قيود الأسر من أرجل وأيدي هذه الأمة .

وعلى تقدم فان الحديث في هذا المقطع ، هو عن ثورتين لم تدوما وعن هزيمتين أيضاً ، وضمن الحديث ترد فلسفةُ الانتصار والهزيمة كما تلاحظون ذلك فيما يلي : ـ

« . . . وتدبروا في أحوال الماضيين من المؤمنين قبلكم ، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء ، ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباءً ، وأجهد العباد بلاءً ، وأضيق أهل الدنيا حالاً ، اتخذتهم الفراعنة عبيداً ، فساموهم سوءَ العذاب ، وجرّعوهم المرار ، فلم تبرحْ الحال بهم في ذلٍّ الهلكة ، وقهر الغلبة ، لا يجدون حيلةً في امتناع ، ولا سبيلاً إلى دفاع »[1] .

---

(١) واضح من الإمام (ع) يقصد هنا التجربة الإسرائيلية وهي التي =

الثورة الاولى في تاريخ المستضعفين»

واستمرتْ حالةُ هذه الأمة على هذا المنوال في حياتها التعيسة ثم وقعت ثورة للمرة الأولىٰ في تاريخ هذه المجموعة المستضعفة والإمام (ع) يصفُ هذه الثورة بالصورة التالية : ـ

«حتىٰ إذا رأىٰ الله سبحانه ، جدَّ الصبر منهم علىٰ الأذىٰ في محبته ، والإحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضائق البلاءِ فرجاً ، فصاروا ملوكاً حكاماً ، وأئمةً أعلاماً» .

«فلسفة الانتصار»

ثم يوضحُ الإمام (ع) سر تلك الذلة والعبودية ، وسبب وعامل هذه العزة والعظمة بهذه الصورة .

«فانظروا ! ! ! ، كيف كانوا حيثُ كانت الإملاءُ مجتمعة . . . والأهواء مؤتلفة ، والقلوب معتدلة ، والأيدي . . مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة والعزائم واحدة ، ألَمْ يكونوا أرباباً في أقطار الأرضيين وملوكاً على رقاب العالمين» .

= يعتبرها المؤلف بأنها الثورة الأولىٰ ، أما الثورة الثانية فهي تجربة الدولة الالهية في صدر الإسلام .

«تراجع الثورة»

وبعد أن يُوضح الإمام (ع) فلسفة إنتصار تلك الثورة ، يشيرُ إلى تراجع الثورة تلك ، مبيناً سرَ عدم ديمومتها : ـ

«فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم ، حين وقعت الفرقة ، وتشتت الالفة ، واختلفت الكلمة والأفئدة ، وتشعبوا مختلفين ، وتفرقوا متحازبين ، قد خلع الله عنهم لباس كرامته ، وسلبهم غضارةَ نعمتِهِ ، وبقي قصص أخبارهم فيكم عِبراً للمعتبرين ، فاعتبروا بحالِ ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليهم السلام ، فما أشدُّ اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأمثال تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم ، يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق[1] وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح[2] ، ومهافي الريح ، ونكد المعاش ، فتركوهم عالةً مساكين ، إخوان دَبَرٍ ووبر ، أذَلَّ الأمم داراً وأجدبهم قراراً ، لا يألون إلى جَنَاح دعوةٍ يعتصمون بها ، ولا إلى ظلِّ أُلفةٍ يعتمدون على عزّها ، فالأحوال المضطربة ، والأيدي مختلفة ، والكثرةُ متفرقة في بلاءٍ أزْلٍ وإطباق جهل من بناتٍ

---

(١) المقصود ببحر العراق ، نهرا دجلة والفرات واللذان أبعدهم عبرهما الاكاسرة أما القياصرة فقدّ أبعدوهم عن «ريف الآفاق» وهي أراضي الشام الخصبة «شرح ابن أبي الحديد ج١٣ ص١٧٣» .

(٢) نوع من العلف الصحراوي .

مـوؤدةً ، وأصنـام معبـودة وأرحـام مقطـوعـة وغـاراتٍ مشنونة . . . » .

«الثورة الثانية»

وبعـد تحليلِـه للثـورة الأولىٰ لتلـك المجمـوعـة مـن مستضعفي العالم وبعد بيانه لفلسفة هذه الثورة وسر تراجعها وعدم ديمومتها ، يشيرُ الإمام (ع) إلى ثورةٍ أُخرىٰ معاصرةٍ له (ع) وكان له دورٌ رئيسيٌ في انتصارها .

وبين هذه الثورة ، والثورةُ التي تقدم الحديث عنها وعن تراجعها هناك علاقة واضحة ، فهذه الثورة حدثت بين أوساط نفس تلك الأمة[1] التي ذاقت لمرتين في تاريخها طعم العبودية والاستغلال والعذاب ، وفي هذه المرة انتصرت الثورة بقيادة نبي الإسلام صلىٰ الله عليه وآله ، وتحررت

---

(١) اعتقد أن هنا وقع خلط فالثورة الأولىٰ مرتبطة ببني إسرائيل والثانية بالعرب في الحجاز خاصة ويبدو أن سبب الخلط هو وحدة الضمائر المستخدمة في نص نهج البلاغة وإسترسال الإمام (ع) في الحديث عنه كلا التجربتين بضمائر موحدة ، إلا أن في وحدة الضمائر إشارة إلى وحدة الملة الإبراهيمية التي ترجع إليها كلا التجربتين ، نعم إن بني إسرائيل كانوا فترة هم ممثلوا الملة الإبراهيمية وحملة الرسالة الإلهية قبل أن ينحرفوا فيستبدلهم الله تعالى بالعرب أبناء إسماعيل (ع) ليتولوا حمل رسالة الإسلام على عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وآله ، ولتنطلق بذلك الثورة الثانية .

الأمة ، ولنصغي الآن إلى حديث الإمام عن الثورة الثانية في تاريخ المستضعفين وفلسفة إنتصارها حسب نظرة نهج البلاغة : ـ

«فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم ، حين بعثَ إليهم رسولاً ، فعقد بملتِهِ طاعتهم ، وجمع على دعوته إلفتهم كيف نشرت النعمةُ عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها ، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها ، فأصبحوا في نعمتها غارقين ، ومن خضرة عيشها فاكهين قد تربعت الأمور بهم ، في ظل سلطان قاهر ، وآوتهم الحال إلى كنف عزٍّ غالب ، وتعطفت الأمور عليهم في ذرىٰ ملكٍ ثابت ، فهم حكامٌ على العالمين ، وملوكٌ في أطراف الأرضيين ، يملكون الأمور على مَنْ كان يملكها عليهم ، ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم ، لا تُغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة» .

«التراجع الثاني»

وبعد تحليله للثورة الثانية في تاريخ المستضعفين يتنبأ الإمام (ع) في المقطع الخامس من كلامه بالتراجع الآخر لثورة المستضعفين المعاصرة له (ع) ، ويُحذّرُ من انه ومع استمرار الوضع القائم آنذاك واستناداً لسنة الخلق التي لا تجد لها تبديلاً ، يُحذر من أن الثورة التي كان هو (ع) من قادتها وأعمدتها ، لن تستطيع الاستمرار ، وأن هذا الوضع القائم إذ

استمر فان سقوط الثورة أمرٌ حتميٌ لا يمكن تجنبه وهذا هو نص كلام الإمام بهذا الخصوص : ـ

«ألا وأنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة ، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية ، فان الله قد امتن على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الأُلفة التي ينتقلون في ظلها ، ويأوون إلى كنفها ، بنعمةٍ لا يعرفُ أحدٌ من المخلوقين لها قيمة ، لأنها أرجَحُ من كلّ ثمن وأجل من كلٍّ خطر ، واعلموا أنكم صرتم بعد الحجرة أعراباً ، وبعد الموالاة أحزاباً ، ما تتعلقون من الإسلام إلا باسمه ، ولا تتعرفون من الإيمان إلا رسمه» .

ولقد كان الإمام (ع) يعاني أشد المعاناة من هذه الخلافات والتمحورات ، وكان يرىٰ أن استمرار هذا الوضع سيجرُ الثورة إلى الدمار ، والحضارة الإسلامية إلى الإنحدار ، حتى لو كان للأمة الإسلامية قيادةٌ كالإمام (ع) نفسه أو من الأئمة من ولده ولهذا فقد كان (ع) يصف نفسه بأنه أحرص المسلمين على وحدتهم[1] .

ولم يكن عليه السلام يضيع أية فرصة لتحقيق هذا الهدف ولكن ولأن وصايا الإمام لم تجد آذاناً صاغية ، فقد تحقق

---

(١) راجع الرسالة ٧٩ من نهج البلاغة .

تنبؤه ، وجُرت الثورة الإسلامية إلى التراجع ، وتقهقرت الأمة الإسلامية إلى الوراء ، إلى أن تفجرت بعد أربعة عشر قرناً ثورةٌ أُخرىٰ في العالم الإسلامي ، وهذه هي الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني .

«الثورة الإسلامية الإيرانية»

وفي هذه المرة ، بدأتْ الثورةُ من إيران ، لتشمل أولاً العالم الإسلامي ثم كافة أجزاء العالم ، وكما أن الثورة الإسلامية في أول الأمر قد صُدرت من العالم العربي إلى إيران ، فانه الآن وبمشيئة الله ، ستُصدر هذه الثورة من إيران إلى العالم العربي ومن ثم إلى كافة أنحاء العالم يُنقل في كتاب سفينة البحار «ج٢ ص٦٩٢» ، أن الإمام علي (ع) كان يخطبُ في مسجد الكوفة ـ على منبر من آجر ، فجاء الأشعث بن قيس الكندي ، فقال : يا أمير المؤمنين لقد غلبتنا هذه الحميراء على وجهك[1] .

فغضب (ع) ، فقال: ليُبيّن اليوم من أمر العرب ما كان يخفىٰ فقال علي عليه السلام : من يعذرني عن هؤلاء الضياطرة ، يُقبل أحدهم يتقلب على حشايا ، ويهجر قوم لذكر الله ، فيأمرني أن أطردهم فأكون من الظالمين والذي فلق

(١) المقصود من الحميراء (العجم) الإيرانيين أو الموالي الذين جاؤوا إلى الكوفة وهم أهل فارس أيضاً .

الحبة وبرأ النسمة ، لقد سمعتُ محمداً صلىٰ الله عليه وآله يقول : «والله ليضربنكم علىٰ الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدواً» .

ويوضح الإمام الباقر عليه السلام المقصود من قوله تعالى في آخر سورة محمد : ﴿ وإن تتولوا يستبدلُ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم . . . ﴾ .

فيقول عليه السلام :

«إنْ تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوماً غيركم يعني الموالي»[1] .

«الاتحاد مع الماركسيين»

وفي نهاية هذا البحث تنبغي الإجابة على سؤال هامٍ ، وهو :

«مع من هذا الإتحاد والتضامن الذي تؤكد عليه وصايا الإسلام ؟ !

---

(١) الرواية ينقلها الشيخ البحراني في كتابه القيم البرهان في تفسير القرآن في ذيل الآية المذكورة وكذلك في نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٤٦ وأيضاً في مجمع البيان ج٥ ص١٠٨ ، وفيه أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال تعليقاً على الآية «قد والله أبدل بهم خيراً منهم الموالي» والموالي كانت تُطلق على غير العرب وبالخصوص على الإيرانيين .

. . وهل يُمكن للمسلمين أن يتحدوا مع الحركات التي لا تقبل الأفكار الإسلامية أم لا يجوز ذلك .

القرآن الكريم أجاب صراحةً على هذا التساؤل ، وأعلن بوضوح أن المجتمع الإسلامي لا يمكن له الإتحاد مع أي حركة تعادي العقيدة الإسلامية ، انتبهوا إلى الآيات الكريمة التالية :

١ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء ﴾ (النساء ١٤٤)

٢ ـ ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فأن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴾ (النساء ٨٩)

٣ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . . . ﴾ (الممتحنة ١)

٤ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم

هـزواً ولعبـاً مـن الـذيـن أُوتـوا الكتـاب مـن قبلكـم والكفـار أولياء ﴾ (المائدة ٥٧)

٥ ـ ﴿ يـا أيهـا الـذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أوليـاء بعضهـم أوليـاء بعـض ومـن يتـولهـم منكـم فـانـه منهم ﴾ (المائدة ٥١)

٦ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ﴾ (التوبة ٢٣)

تلاحظون أن القرآن الكريم ينهىٰ المسلمين صراحةً في هذه الآيات عن الإتحاد والتضامن وإقامة روابط المودة مع الكفار الذين يصفهم بأنهم أعداء الله وأعداء المسلمين ، وهو يحرّم طلب العون منهم ما لم يتقبلوا العقائد الإسلامية وأصل الهجرة ، وحتى أنه ـ القرآن الكريم ـ يوضح أن أيّ منتمي للإسلام يقيم علاقات المودة مع من يعتنق عقيدةً أُخرىٰ ، فهو لا يُعتبر مسلماً حسب التصور القرآني ، بل يعتبر تابعاً لتلك العقيدة الأُخرىٰ وحتى أنه ورغم القيمة العظيمة التي يُقرها الإسلام من الجنبة الحقوقية ، للوالدين ، ويُوجب احترامهما في كل حال ، رغم ذلك لا يُجيز التحالف وإقامة علاقات

المودة معهما ما لم يعتنقا الإسلام .

واستناداً على نفس هذا الأساس ، لم يكن رسول الله يرضىٰ بأي شكلٌ من أشكال الإتحاد والتضامن مع الكافرين وكان يرفض دعوات معونتهم .

ينقلُ ابن أبي الحديد أن شخصاً يُسمىٰ خبيب بن يساف وكان رجلاً شجاعاً ، لكنه كان يمتنع عن اعتناق الإسلام ، وفي معركة بدر أولىٰ المعارك الإسلامية ، وفي مكان يُسمىٰ «العقيق» التقى وهو يلبسُ لامة الحرب ، نبي الإسلام ، فعرفه الرسول (ص) وقال لسعد بن معاذ الذي كان يسيرُ إلى جنبه : «أليس بخبيب بن يساف» ؟ .

فأجاب معاذ : بلىٰ ، فأقبل خُبيب حتى أخذ ببطان «حزام القتب» ناقة الرسول (ص) ، فقال (ص) له ولقيس بن محرث الذي كان يصحب خبيباً : «ما الذي أخرجكما» ؟ ! فأجاب خبيب : ـ

ـ كنت ابن أختنا وجارنا ، وخرجنا مع قومنا للغنيمة فقال (ص) : «لا يخرجنّ معنا رجلٌ على غير ديننا» .

فقال خبيب : لقد علم قومي أني عظيم الغناء في الحرب ، شديد النكاية ، فأقاتل معك للغنيمة ولا أُسلِم .

فقال (ص) : «لا ولكن أسلم ثم قاتل» .

ثم ذهب خبيب وكأنه فكّر مع نفسه ، أن لو لم يكن محمد (ص) رسول الله ، لما ردّ دعوته.بهذه الصورة الحازمة وهو (ص) في هذه الظروف الصعبة التي يمكن لوجود محاربٍ معه أن يكون مصيرياً ، وبتأمل قليل فهم أن هدف محمد (ص) أعظم وأسمىٰ مما يفكرُ به سياسيٌ وطالبٌ للرئاسة واطمأن أنه رسولُ الله ، ولهذا عاد مرةً أُخرىٰ إلى الرسول (ص) وقال له «يا رسول الله أسلمتُ لرب العالمين ، وشهدت أنك رسول الله» .

وشارك خبيب في هذه المعركة ورافق الرسول (ص) حتى استشهد في معركة أُحد[1] .

وفي كلام آخر له (ص) في معركة أُحد فيما يتعلق بالاستعانة بمجموعة من اليهود قال (ص) : «إنا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك»[2] .

وحسب التصور الإسلامي فان كلَّ من يرفض عقيدة هذا الدين وهي التوحيد ، فهو مشرك ، ولا يمكن لدين ، شعارُه الجهاد ضد الشرك أنْ يستعين بالمشرك لمحاربة الشرك .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج١٤ ص١١٠ ـ ١١١ مع توضيحات من المؤلف والقصة ينقلها أيضاً مؤلف الطبقات الكبرىٰ في ج٣ ص٥٣٤ مع بعض الإختلاف .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج١٤ ص٢٧٧ .

وطبيعي ، أنه عندما تُرفض العقيدة الإسلامية ، فان الهدف من التحالف والتضامن لن يكون إلا المطامع المادية والمنافع ، ونفس هذا الأمر يعني أن التحالف يستمرُ ما دام المتعاون يحس بالمنفعة منه ، وهذا خطرٌ عظيمٌ على الحركة الإسلامية فهو يهددُ جميع شعارات هذا الدين ، ولأجل هذا فان التحالف مرفوضٌ ـ حسب التصور الإسلامي ، ما لم يكون على أساس العقيدة . ولهذا فإنه وعندما كان رسول الإسلام (ص) يعرضْ دينه على مختلف القبائل ، ووصل إلى قبيلة بني كلاب فانهم وفي جوابهم لدعوته (ص) قالوا : نبايعك شريطة أن يكون الحكم ـ الأمر ـ لنا من بعدك ، فأجاب (ص) موضحاً أن هذا الأمر بيد الله سبحانه وتعالى إن شاء أعطىٰ زمام الأمر لكم وإن لم يشأ أعطاه لغيركم .

ولهذا السبب رفضت تلك القبيلة دعوة الرسول وقالوا :

«لا نضرب لحربك بأسيافنا ثم تحكم علينا غيرنا» .

* * *

«جواب لانتقاد»

هنا يُمكن أن يُعترضَ علينا بأنه ، إذا كان الإسلام يرفضُ التحالف مع الشرك فهذا يستلزم أن لا يكون للنظام الإسلامي في العصر الحاضر ، أيّ رابطة مع أيٍّ من أمم العالم ، لأن

نظام الشرك هو النظام الحاكم في جميع هذه الأمم ، ونتيجة هذا الموقف هي أن يقطع العالم الإسلامي علاقاته بالتقدم والتكنولوجيا الموحدة ، وأن يعيش في عزلةٍ كاملة .

واعتراض ، كهذا يردُ إلى الذهن بسبب عدم إتضاح معنىٰ التضامن فمسألة التضامن والتحالفات السياسية والاجتماعية شيءٌ ، ومسألة الاستفادة من العلم والثقافة والتكنولوجيا شيءٌ آخر ، فالإسلام الذي ينهىٰ عن الإتحاد والتضامن مع الشرك ، هو نفسه الذي يوصي كراراً بالانتفاع من تطور العلم والإختراعات التي انتجها الأجانب وفي هذه الصدد يقول الإمام علي عليه السلام :

«الحكمة ضالةُ المؤمن ، فاطلبوها ولو عند المشرك»[1] .

ويقول عليه السلام أيضاً :

«الحكمة ضالة المؤمن ، فخذوها ولو من أفواه المنافقين»[2] .

---

(١) بحار الأنوار ج٧٨ ص٣٤ .

(٢) غرر الحكم .

الفصل الثاني

الجهاد الأكبر

«إنما بدء الفتن أهواء تتبع» نهج البلاغة .

في الفصل الأول ، توصلنا إلى النتيجة التالية ، وهي أن الإتحاد يعتبرُ من وجهة نظر نهج البلاغة ، صاحب الدور الأعظم والأكثر أساسية فيما يتعلق بديمومة الثورة ، وهذا هو أصلٌ عامٌ وسنةٌ ثابتةٌ من سنن الخلق ، ولا تبديل لها ، بحيث أنه ومع فقدان الإتحاد لا يمكن لأيِةِ قوةٍ أن تحول دون الهزيمة النهائية للثورة .

وعلى هذا الأساس يُطرحُ بحث أساسيٌ آخر هو ما هو منشأ وأساس الإتحاد» ؟ ! وما هي علة الإختلاف ؟ ! ، وعلى أساس أية ضوابط يمكن للقوىٰ المختلفة أن تتحد في ظل نظام الخلق ؟ ! .

«كيف يُحقق الإتحاد بين القوى»

حسبما يقرره نهج البلاغة ، فالإتحاد هو أمرٌ طبيعيٌ وفطري ، لأن الإنسان خلق مجبولاً على الميل إلى بني جنسه ، لذلك فان الشيء الذي يجب أن يبحث عن أسبابه ومنشأه هو «الإختلاف» ، لأن منشأ الإتحاد كامنٌ في فطرة الإنسان .

نقرأ في الخطبة رقم ١١٢ : ـ

«إنما أنتم أخوانٌ على دين الله[١] ، ما فرّق بينكم إلا خبث السرائر ، وسوء الضمائر ، فلا توازرون ، ولا تناصحون ولا تباذلون ، ولا توادُون . . . .»[٢] .

وكما تلاحظون ، ففي هذه الخطبة تُطرح مسألة الاخوة والإتحاد والميل إلى النوع ، كواقع تقتضيه فطرةُ الإنسان وطبيعته ، ويُنبه إلى أن «خبث السرائر وسوء الضمائر» ، هي منشأُ الفرقة والتمزق بين القوىٰ ، وفي الخطبة القاصعة التي تقدم البحث حولها ، أُعتبر «تضاغن القلوب وتشاحن الصدور» سبباً

---

(١) ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ «الروم ٣٠» .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ج٧ ص٣٤٦ الخطبة رقم ١١٢ .

للتفرقة[1] .

وعلى ما تقدم يجب أن يُبحث عن المنشأ الذي تنشأُ منه «خبث السرائر وتضاغن القلوب والأحقاد» وهي أُسُّ الإختلاف والفرقة بين القوىٰ ، وبالتالي أكبر الحواجز أمام ديمومة الثورة .

بالنسبة للسؤال الأول أي ما هو منشأ الأضغان والأحقاد وخبث السرائر فجوابه هو اتباع الهوىٰ والبحث عن المنافع الشخصية ، ولهذا يقول الإمام (ع) في الخطبة رقم ٥٠ : ـ

«إنما بدءُ الفتن أهواءٌ تتبع»[2] ، ويقول في مقامٍ آخر «الهوىٰ أُسُّ المحن»[3] ، وفيما يلي نوضح كيف أن «الهوىٰ» هو منشأ جميع المحن والسبب الرئيسي للإختلافات ، وبالتالي أكبر السدود أمام ديمومة الثورة .

«عبادة النفس ، وعبادة الله»

في القرآن الكريم وفي نهج البلاغة ، يُطرح الإنسان حيناً «كعابد نفسه»[4] ، وحيناً آخر «كعابد لله» ، فالإنسان العابد

---

(١) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج٣ ص٢٤٠ .
(٣) غرر الحكم .
(٤) ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ﴾ «الجاثية ٢٣» .

لنفسه أو المتمحور عليها هو ﴿ مَنْ اتخذَ إلهَهُ هواه ﴾ ، على عكس العابد لله الذي خرج من حدود «الأنا» إلى وسعه الـ «نحن» ، متحركاً بكل وجوده نحو الكمال المطلق والخلود .

وحسب ما ورد في نهج البلاغة ، فعبادةُ النفس والتمحور عليها لهي منشأ جميع الاضغان والعقد ، التي تجر إلى الخلافات ، وتحول دون ديمومة الثورة ، وهذا التلازم هو من القوة ، بحيث يُعبر عادةً في هذا الكتاب نهج البلاغة ـ عن خلافات القوىٰ بـ «اختلاف الأهواء»[1] ، وهذه حقيقةٌ لا مجال للشك فيها ، ولهذا يعتبر الإمام علي (ع) ومن قبله نبي الإسلام (ص) ، يعتبران ، عبادةَ النفس والتمحور عليها أكبر خطرٍ يهددُ هوية المجتمع الإسلامي وديمومة الثورة[2] .

«الجهاد ضد التمحور حول النفس أو الجهاد الأكبر»

ومع ثبوت أن التمحور حول النفس «عبادتها» هو منشأ سرطان العقد المثيرة للإختلاف وأنه أكبر ما يحول دون ديمومة

---

(١) راجع صفحة ٤٤ وصفحة ٢١٠ وصفحة ٧٢ من نهج البلاغ فهرسة صبحي الصالح .

(٢) راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٧٣ ص١٦٢ وشرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٣١٩ وج٣ ص١٠٣ .

الثورة ، مع ثبوت ذلك يصبح الجهاد ضد عبادة النفس إذن هو الجهاد الأكبر ، لماذا ؟ ! الجواب لأن جهاد ومحاربة الأعداء الخارجيين ، ينصر الثورة فقط ، لكن الجهاد ضد عبادة النفس وهو محاربة العدو الداخلي ، يمنح الثورة الدوام والإستمرارية أي يضمن ديمومتها ، والمهم هو ديمومة الثورة ، وليس انتصارها فقط ، وانطلاقاً من هذا المفهوم ، قال رسول الإسلام (ص) لمجموعةٍ من المقاتلين المسلمين الذين كانوا عائدين منتصرين من إحدىٰ الغزوات ، قال لهم :

«مرحباً بقومٍ قضوا الجهاد الأصغر وبقي لهم الجهاد الأكبر» ، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ، قال (ص) : «جهاد النفس . . . . .»[1] .

والإمام علي عليه السلام يقول بهذا الصدد أيضاً :

«إعلموا أن الجهاد الاكبر . . جهاد النفس ، فاشتغلوا بجهاد أنفسكم تسعدوا»[2] .

ويقول (ع) في كلام آخر له :

«غاية الجهاد أن يُجاهد المرءُ

---

(١) الحديث ينقله الكليني في الكافي ج٢ ص٦٣٩ والمفيد في الاختصاص ص٢٤٠ .

(٢) غرر الحكم .

نفسه»[1] .

ويقول الإمام الباقر عليه السلام :

«لا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة الهوىٰ»[2] .

إذن ، إذا وُجدَ انتصاران توأمان بمعنىٰ أن المسلمين انتصروا على جبهتين ، «في الجهاد الأصغر ضد الأعداء في الخارج وفي تحطيم القيود الخارجية ، وفي الجهاد الأكبر مع الأعداء في الداخل ، وفي تحطيم القيود الداخلية» ، فلا شك والحالة هذه في أن الثورة في المجتمع الإسلامي ، سوف لن تدوم وحسب ، بل إنها ستخرج من الحدود أيضاً ، وتعمُ أرجاء العالم ، ولكن إذا لم ينضم الإنتصار الثاني إلى الإنتصار الأول ، فسيكون الانتصار الأول مؤقتاً وسرعان ما يتلاشىٰ .

«سر عدم ديمومة الثورة الإسلامية في بدايتها العظيمة»

إن المطالعة الدقيقة لتاريخ الإسلام تُثبت حقيقة أن السبب الرئيسي لعدم ديمومة الثورة في بدايتها العظيمة رغم أنها كانت مؤيدةً بأقوىٰ قيادة ، السبب كان هو أن الجهاد الأكبر لم يُضم إلى الجهاد الأصغر ، ولأن أولئك الذين

---

(١) غرر الحكم .

(٢) البحار ج٧٨ ص١٦٥ .

أخضعوا بجهادهم الأصغر القوىٰ الكبرىٰ آنذاك ، وهزموا في الجهاد الأكبر في مكافحة عبادة النفس والتمحور عليها ، وهذا هو العامل الذي أدّىٰ إلى انتكاسة الثورة الإسلامية في بدايتها العظيمة وبالتالي إلى عدم ديمومتها .

نبي الإسلام العظيم (ص) ، كان يعرفُ جيداً أن تحطيم القيود الخارجية دون الأخذ بنظر الاعتبار منشأ وجذر هذه القيود ، وبدون ثورةٍ أكبر للتحرر من القيود الداخلية ، أن ذلك أمرٌ عديمُ الجدوىٰ وأن الذي يضمن ديمومة الثورة هو الجهاد ضد القيود الداخلية ولهذا كان (ص) يؤكدُّ دعوتَهُ للمقاتلين المسلمين إلى الجهاد الثاني ، ويصفه بالجهاد الأكبر .

وإضافةً لهذا ، فالثورةُ الإسلاميةُ هي ثورةٌ دينيةٌ لها عقائدها ومبادئها الخاصة ، ونعلمُ أن أيَّ ثورةٍ لا يمكن لها الاستمرار دون أن تكون لها قاعدةً شعبيةً ، هذا من جهة ومن جهة أُخرىٰ ، فلأن السبيل الوحيد لانسجام المجتمع مع الفكر الإسلامي وتحويل المجتمع إلى مجتمع متدين هو مجاهدة ومكافحة عبادة النفس ، لكل ذلك ، فإن ديمومة الثورة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق بدون هذا النوع من الجهاد .

«الخطر الذي يهدد الثورة الإسلامية في إيران»

قلنا أن سر هزيمة الثورة الإسلامية في الصدر الأول وفي بدايتها العظيمة، هو هزيمة المسلمين في الجهاد الأكبر ومحاربة عبادة النفس وحب الجاه والمنافع الشخصية والفئوية، والتي أسفرت عن الفرقة وتحولت الـ «نحن» إلى «الأنا»، وبالنتيجة فقدت الثورة قاعدتها الشعبية، وانهزمت إلى أن آل الحال إلى أن يحكم المسلمين أجنىٰ الجناة وباسم الإسلام.

وهذا الخطر يهدد الآن الثورة في إيران بعد انتصارها، أي نفس عوامل الهزيمة التي تكونت في داخل القوىٰ الثورية، ونحن فيها يوماً بعد آخر.

فعوامل التمحور على الذات والأنانيات وعبادة النفس، هي التي تهيىء الأرضية للإختلافات وأن تظهر كل يوم منظمةٌ جديدةٌ وحركة جديدة تُعلن عن وجودها، وكلٌّ واحدة، منها تسعىٰ للحصول على مكاسب وامتيازات لها، حتىٰ لو كان ثمن هذا المكسب أو ذاك الإمتياز هدم وتدمير حزبٍ آخر، والشيءُ الوحيدُ الذي قلما تفكر به تلك الحركات هو «مصير الثورة»، وهذا الوضع هو أكبر خطرٍ يهدد ثورتنا.

ولا أدري لماذا لا تعتبرُ هذه الحركات وتأخذ درساً مما آلت إليه الثورة الإسلاميةُ في بدايتها العظيمة، وإذا كنا نفتقد

الأهلية ـ الجدارة ـ لحكومة علي (ع) فعلينا وطبقاً لسنة الخلق التي لن تجد لها تبديلاً ، علينا أن ننتظر حكومةَ الحجاج .

«مكر الشيطان الأكبر»

وقد ذُكر في نهج البلاغة ، عاملٌ آخرٌ ، غير عامل «إتباع الأهواء» كسبب لإيجاد حالة التمزق والإختلاف بين القوىٰ الثورية ، ففي الخطبة «١٢٠» وردَ ما يلي :

«إن الشيطان يُسني لكم طرفة ، ويُريدُ أن يحلَّ دينكم عقدةً عقدةً ، ويعطيكم بالجماعة الفرقة ، وبالفرقة الفتنة ، فاصدفوا عن نزعاته ، ونفثاتِهِ . . .»[1] .

ونعلم أن القرآن الكريم ، كان يستخدم وصف «الشيطان» في حديثه عن تلك المجموعة من البشر المتصدية لغواية إخوانهم في الجنس ـ باقي البشر ـ وإلقائهم في الشباك ، كما أنه ـ القرآن الكريم ـ يُطلق وصف الشيطان على الكائنات الغيبية التي توسوس في قلب الإنسان .

وعلى أي حال ، فأن الشيطان الأكبر في عصرنا الحاضر الذي يسعي لتمزيق القوىٰ الثورية هو أميركا ـ كما يقول الإمام الخميني ولكن ـ ينبغي الإنتباه إلى أن الشيطان سواءً كان صغيراً أو كبيراً يسعىٰ إلى إيجاد حالة التمزق والإختلاف بين

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٧ ص٢٩١ .

القوىٰ الثورية عن طريق تحريك الأنانيات والأهواء ، فإذا تمكنت الشعوب في جهادها الإكبر ضد عبادة النفس ، تمكنت من الانتصار فلن تؤثر فيها أبداً وساوس الشيطان فـ ﴿ إن كَيْدَ الشيطان كان ضعيفاً ﴾ (النساء ٧٦)

الفصل الثالث

خطر الحركات الملفقة :

«يُؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان . . .»
نهج البلاغة

ومن الأخطار التي تهددُ ديمومة الثورة الإسلامية في إيران بصورة جدية ، هو خطر «الملفِقين» أولئك الذين حرّفوا الإسلام عن خطه الأصلي ، وأخذوا منه مقداراً وفقما تقتضية أذواقهم كما أخذوا مقداراً من التيارات الفكرية الأُخرىٰ ، ومزجوا هذا بذاك وهم يفرضون هذا الخليط على أُمتنا ، تحت اسم الإسلام الصحيح وكل من لا يرضىٰ هذا «الإسلام» ، يجب أن يُخرج من ساحة الثورة بلصق صفةِ الرجعية عليه .

ومثل هذه الحركات والتيارات الملفقة يمكن العثور

على الكثير من مصاديقها في التأريخ الإسلامي ، والإمام علي (ع) في نهج البلاغة يحذر المسلمين من أخطارها فيقول في الخطبة رقم٥٠ :

«إنما بدءُ وقوع الفتن ، أهواءٌ تُتَّبع ، وأحكامٌ تُبتدع ، يُخالف فيها كتاب الله ، ويتولىٰ عليها رجالٌ رجالاً على غير دين الله ، فلو أن الباطلَ خَلَصِ من مزاج الحق لم يَخْفَ على المرتادين ولو أن الحق خلص من لبس الباطل ، انقطعت عنه ألسنة المعاندين ، ولكن يُؤخذ من هذا ضغث ، ومن هذا ضغث ، فيمزجان ، فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه ، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنىٰ . . .» .

وأخذُ شيءٍ من الحق وشيءٍ من الباطل ومزجهما ، هذا هو عمل المدارس التلفيقية التي تعتبرُ أكبر خطرٍ يواجه مسيرة الثورة الإسلامية .

في بلدان ، كإيران ، وخاصةً بعد الثورة ، حيث ليس هناك توجه نحو الأفكار المادية ، وحيث أن الشباب المسلمين الأبرياء ، إذا عرفوا أن هذا الشخص الذي يدعي أنه يروّج للإسلام الأصيل ، يُريدُ أن يُزرقهم بأفكارٍ ماديةٍ وبظاهر إسلامي ، لما خضعوا له أبداً ، لذلك فلأجل ايقاعهم في الفخ يَعمدُ الملفق إلى أُسلوب «التلفيق» القديم ، فيبدأ بالحديث عن الله والقرآن والإسلام ويختم بالله ، ويدس في سلسلة من

أحكام الإسلام السامية ، الأُصول الأربعة للديالكتيك (المادية) ، ويمزج العقائد الإسلامية بالاقتصاد الإسلامي ، ثم يعرض هذا الخليط تحت عنوان «الإسلام الأصيل» ، إلى الفتية قليلي المعرفة بالإسلام .

الإمام علي عليه السلام ، تنبأ قبل أربعة عشر قرناً بخطر المنظمات والحركات الملفقة والمنحرفة ، وابنه البطل وعظيم التاريخ الإيراني الخميني الكبير ، يحذر أيضاً في بيانِهِ بمناسبة رأس السنة المجتمع الثوري الإيراني من خطر «الملفقين» : ـ يقول الإمام الخميني :ـ

« . . . الإسلامُ بنفسه مدرسةٌ غنيةٌ ، لا تحتاجُ أبداً إلى أن يُضمُ إليها بعضاً من المدارس الأُخرىٰ ، وعلى الجميع أن يعلموا أن التلفيق الفكري خيانةٌ عظمىٰ للإسلام والمسلمين وستعرفُ نتيجةُ هذا المنهج في التفكير وثمرته المُرة خلال الأعوام المقبلة ، ومع أشد الأسف يشاهد أحياناً أنه وبسبب عدم الإدراك الصحيح والدقيق للمسائل الإسلامية فقد مزجوا بين بعض تلك المسائل مع المسائل الماركسية وأوجدوا مزيجاً لا ينسجم أصلاً مع قوانين الإسلام السامية» .

« . . . أيها الجامعيون الأعزاء . . لا تسلكوا المسلك الخاطىء للمثقفين الجامعين من غير المتدينين ، ولا تعزلوا أنفسكم عن الجماهير بانتهاج هذا المسلك . . » .

نعم . . فلا حاجة للإسلام في أن تُضمَ له مدارس عقائدية أُخرىٰ ، وإذا ما طبق الإسلام الأصيل في المجتمع لكان بذاتِهِ كفيلاً بديمومته فالإسلام كما يصفه أمير المؤمنين (ع) : «لا انهدام لأساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاع لشجرته ولا إنقطاع لمدته ولا عفاء لشرائعه ـ أي أن أحكامه لا يبليها القدم ـ ، ولا جذّ لفروعه ـ أي أن فروع الإسلام محال أن تطيح ـ ولا ضنك لطرقه . . .»[1] .

وعلى ما تقدم ، فان إحدىٰ الواجبات العظيمة التي تقع على عاتق المجتمع الإيراني الثوري تجاه ديمومة الثورة هي : ـ أن يحرص حرصاً شديداً على إجتناب أي تفسير بالرأي مثل ذلك هو من أدوات عمل الأشخاص الملفقين ، المطلوب هو أن يطابقوا تصوراتهم وآراءهم مع القرآن ، لا أن يفسروا القرآن بالصورة التي تلائم آراءهم ووجهات نظرهم والحصيلة أن يكون الحال كما يعبر عنه الإمام عليه السلام في نهج البلاغة أن يكون القرآن هو الإمام ، لا أن يكونوا هم أئمةً للقرآن يقول عليه السلام : «وانه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفىٰ من الحقِّ ، ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله . . وليس عِنْدَ أهل ذلك الزمان سِلْعة أبوَرُ من الكتابِ إذا تُلِي حقَّ تلاوته ، ولا أنفَقُ منه إذا

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٨ حسب تنظيم صبحي الصالح .

حُرّفَ عن مواضعه . . . . ولا في البلاد شيءٌ أنكرُ من المعروف ، ولا أعرف من المنكر . . . . فقد نبَذَ الكتابَ حَمَلَتُهُ ، وتناساه حفظته ، فالكتابُ يومئذٍ وأهلُهُ منفيّانِ طريدان ، وصاحبان مصطحبان في طريق واحدٍ ، لا يؤويهما مؤوٍ ، فالكتابُ وأهلُهُ في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ، ومعهم وليس معهم ، لأن الضلالة لا توافق الهدىٰ وإن اجتمعا . . . فاجتمع القومُ على الفرقة ، وافترقوا عن الجماعة كأنهم أئمةُ الكتابِ وليس الكتاب أمامهم . . . فلم يبقَ عندهم منه إلا اسمُهُ ولا يعرفون إلا خَطّهُ وَزَبْرَهُ . . . »[1] .

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٤٧ .

الفصل الرابع

ديمومة القيادة المبدئية

«إن أحق الناس بهذا الأمر اقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه» نهج البلاغة .

قبل أن ندخل في بحثنا هذا ، من الضروري أن نجيب على هذا التساؤل الذي قد يعلقُ في أذهانِ بعض القراء ، وهو أننا في القسم نبحث عن مسؤوليات الشعب تجاه ديمومة الثورة ، فما هي علاقة هذا الموضوع بـ «ديمومة القيادة المبدئية» ، وجواب هذا التساؤل هو أن الناس هم قاعدة الحكم ، وهم الذين يستطيعون أن يرتضوا قيادةً دينيةً أو قيادةً علمانية ، لذلك فهذا البحث يتعلق بلا شك بمسؤوليات الشعب من هذه الجهة .

«القيادة المبدئية»

فيما يتعلق بديمومة الثورة ، يمكنُ تصور نوعين من القيادة :

١ ـ القيادة المبدئية .

٢ ـ القيادة غير المبدئية .

والقيادة المبدئية ، هي الّتي تحفظ أصالة الثورة ، على أساس تلك المدرسة والعقيدة التي أوصلتْ الثورة إلى النصر ، ولذلك ، ينبغي للقائد أن تكون له إحاطةٌ بجميع مسائل وأبعاد تلك المدرسة ، وأن تكون له من الناحية النفسانية مميزاتٌ خاصة ، حتى يستطيع أن يقود الثورة في إطار تلك المدرسة .

وأما القيادة غير المبدئية ، فأفضل صورها هي الحكم الديمقراطي الذي يعين القيادة فيه رأي الأكثرية ، والقائد هو الذي تُعطيه الأكثرية رأيها ، سواءً أكان للذين يعطون آراءهم تلك ، القدرة على تشخيص القيادة الكفوءة ، أم لم يكن لديهم تلك القدرة ، متأثرين بما يصفه الدكتور شريعتي «صناديق صنع الرأي» لا أخذ الرأي .

لا يفرق في هذا النوع من القيادة أن يكون القائد وفياً لفكر الثورة أو لا يكون ، بل ولا يفرق أيضاً أن يحيط القائد

بمبادىء ذلك الفكر أو لا يملك أبسط اطلاع عنه .

«الثورة الاسلامية والقيادة المبدئية»

وبملاحظة أن الثورة الإسلامية هي ثورةٌ مبدئيةٌ ، وأن القيادة غير المبدئية ـ كما أوضحنا ـ ليس لديها أيةُ ضمانةٍ لديمومة الفكر من جهةٍ أُخرىٰ ، فلا شك إذن في فقدان أي سبيل لديمومة الثورة سوىٰ بديمومة القيادة المبدئية .

«ولاية الفقيه»

لقد قيل كثيراً بشأن مفهوم «ولاية الفقيه» في القانون الأساسي لكن زبدة الكلام هي أن «ديمومة الثورة المبدئية تستلزم . . قيادةً مبدئية» .

الإمام علي (ع) يقول في نهج البلاغة بشأن مواصفات من يُريدُ أخذ زمام الأُمة الإسلامية باعتباره قائدها : ـ

«أيُّها الناس . . إنّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمرِ الله فيه . . .»[1] .

ولاحظوا هنا أن الإمام (ع) ، يعتبرُ أن الكفوء للقيادة ، يحتاج إلى شرطين فقط : ـ أحدهما أن يكون أقدر من الآخرين على القيادة ، والثاني أن يكون أعلم الناس بأمور

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢٨ .

الدين[1] ، سواءً اختاره الناس أم لم يختاروه ، لأن الإمامة والقيادة لا تحدد لا بالإنتخاب ولا بالتعيين ، بل بعظمة المقومات الإنسانية في الأنساب ، وتحقق إستعدادات الكمال فيه ، فبذلك يصلُ الإنسان إلى منصب ومقام الإمامة والقيادة ، وبذلك تكون القيادةُ حقاً ذاتياً له سواءً انتخبوه لذلك أم لم ينتخبوه ، والذي يحدث في حالةِ عدم انتخابه ، هو أن تلك الجماهير سيصيبها الأذىٰ ولن تصل إلى الهدف الأساسي والغاية الحقيقية من الخلق .

تداوم القيادة المبدئية . . . روح الثورة الإسلامية

«الإمامةُ» ، حسب التصور الإسلامي ـ هي روح ومنبع جميع الفضائل والمحاسن واشكال وأيضاً هي مصدر جميع الخبائث والقبائح وأنواع انحطاط المجتمع . . .

«الإمامة» ، والقيادة ـ الصالحة ـ هي النظام الذي تتفتح عبره أرضيات التكامل لدىٰ الإنسان ، وهي روح السلوك إلى الكمال ، وفي نفس الوقت فإن الإمامة ـ الصالحة ـ هي منبع المسار المنحرف الذي يجر الإنسان إلى الإنحطاط والخبائث .

---

(١) يروي المتقي الهندي في كنز العمال (ج٣ وتحت رقم ٥٦١٢) عن الرسول الأعظم صلىٰ الله عليه وآله وسلم انه قال : ـ «لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه» .

في كتاب الأُصول من الكافي ينقل عن محمد بن منصور أنه سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن معنى قوله تعالى : ﴿ قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴾ الأعراف ٣٣ ، فأوضح الإمام في جوابه أن للقرآن ظاهر وباطن ثم أوضح الجواب قائلاً : ـ «فجميع ما حرم القرآن من ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق . . . » .

لقد أوضح الإمام عليه السلام في تبيانه لباطن الآية المتقدمة ، منشىء جميع أمراض الأُمة وشخص في المقابل علاجها ، فأصل ومنبع جميع الأمراض الاجتماعية والفساد هو وجود القيادة الجائرة ، وما دامت «أم الفساد» حاكمة على الأمة فان جميع جهود ومساعي الأُمّة تبقىٰ عقيمة وسطحية ما دامت لا تتوجه نحو استئصال منبع الفساد ـ الحاكميات الجائرة ثم ينبه الإمام إلى أن في استئصال القيادة الفاسدة تكمن الخطوة الأولىٰ لبناء الأُمة الإسلامية السليمة وإقامة المجتمع التوحيدي أما الخطوة الثانية فتكمن في استمرارية وديمومة حاكمية القيادة المبدئية الصالحة وهي روح وباطن الأُمة النموذجية ، وفي غير ذلك فأن الثورة تفقد أصالتها المبدئية ، وتسيطر الرجعية على مقاليد التحكم في مسيرة الثورة ، من هنا يُفهم سر شدة اهتمام المتون الإسلامية بموضوع إستمرارية القيادة المبدئية واعتبارها

أن القيادة المبدئية للإمام العادل في الإسلام هي روح وباطن كافة أُصول الإسلام وفروعه بحيث أنها تعتبر أن جميع القضايا والعقائد الإسلامية حتى أساسها الأول ـ التوحيد ـ تصبح فارغة وبدون مضمون ودون ثمار ، ولا تختلف عن الشرك بشيء إذا ما حُذف أصل الإمامة الصالحة والقيادة المبدئية منها .

«أصل الشورىٰ في القيادة المبدئية»

هنا يطرح سؤال يقول : ـ «ما هو السبيل إلى معرفة القيادة التي تقود الثورة بمبدئية ؟ ! وهل أن نظام الشورىٰ» واعتماد رأي الأكثرية يمكن أن يحقق المطلوب أم لا ؟ .

الإجابة المفصلة على هذا التساؤل تناولناها في كتاب «حكمة الحاجة إلى الإمامة» أما هنا فنقول باختصار ، أن من غير الممكن اللجوء إلى طريق الشورىٰ خاصةً فور انتصار الثورة ، وقبل أن يُغيّر الشعب وتُغير ثقافته وقبل أن يُستأصل الفساد والإنحراف وقبل أن تُدحر المؤمرات وهذا هو مضمون إحدىٰ ضروريات العقائد الشيعية .

إنني أقولها بصراحة هنا أنّ كثيراً من المشاكل والمفاسد التي شهدتها الأُمة الثورية في إيران خلال الأشهر الخمسة عشرة هذه التي أعقبت إنتصار الثورة . . وإن كثيراً من

المؤمرات التي أشغلت الشعب والحكومة خلال ذلك كانت بسبب طرح موضوع أصل «الشورىٰ» في غير محله . .

للمرحوم الدكتور علي شريعتي مبحثاً دقيقاً في نهاية كتابه «الأُمة والإمامة» يقول فيه : ـ «من الإشكاليات التي طُرحت أخيراً خاصةً بدءاً من ١٩٥٤ في مؤتمر «باندونغ» من قبل قادة البلدان الآسيوية والأفريقية وتكرر طرحه من قبل علماء الاجتماع ـ خاصةً في البلدان النامية والمتحررة حديثاً والثورية هو موضوع إمكانيات تطبيق الديمقراطية من وجهة نظر علماء الاجتماع ، فرغم وضوح مزاياها لنا جميعاً إلا أن الإشكالية المطروحة هي أن تفويض الأمر في النظام الاجتماعي والقيادة السياسية بأيدي شعب جامد جاهل ألا يؤدي إلى عرقلة التقدم ؟ ! فإذا كان الهدف تغيير وضع المجتمع وإزالة الإنحطاط المتحكم في العلاقات الاجتماعية وتغيير طريقة التفكير والثقافة والكثير من القناعات والعقائد وإزالة الخرافات وهذا التغيير يجب أن يتم بطريقة ثورية ، وإذا كان الأصل هو تحكيم شعاري (القيادة والتقدم) على السياسة والحكم لتحقيق ذلك فان السبيل إليه محالٌ تصوره عن طريق تفويض الأمر إلى هذا المجتمع نفسه قبل التغيير ، ففي أي ظرف يستطيع الشعب اختيار القيادة وعلى أيدي مَنْ ، لا شك بأن هؤلاء يجب أن يكونوا النخبة الخيرة ، وهل أن الأكثرية في

أيٌّ من المجتمعات قد استطاعت تشخيص أفضل أنواع القيادة الإنسانية ؟ ! .

إن ما يطرح اليوم هو أن النظام الديمقراطي نظام ضعيف ومعادٍ للثورة في فرنسا اليوم جاء الجنرال ديغول وقال : إن هذه المراقص قبيحة للغاية والراقصون فيها عرايا فأمر بفرض حجاب مختصر لستر عوراتهم ، فانطلقت صرخات مدعي الحرية معترضةً أن في ذلك سلبٌ للحرية ، إن الإنحطاط الذي وصلته البلدان العلمانية والديمقراطية الغربية دليل على ضعف النظام الديمقراطي في قيادة المجتمع وعلى حدٍّ قول البرفسور «شاندل» فان : ـ «ألد وأخطر أعداء الحرية والديمقراطية بطرازها الغربي هو نفس هذه الديمقراطية ونفس هذه العلمانية والحرية الفردية» .

الفصل الخامس

لا لصنمية الشخصيات

«إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال أعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف أهله»

التاريخ الإسلامي شاهدٌ على أن تحويل الشخصيات إلى أوثان ، وتأليه الوجوه الشاخصة التي كان لها تاريخ طويلٌ من الجهاد أو كان لها منزلةٍ علمية وفكرية عالية ، أن ذلك قد عرض للخطر الثورة الإسلامية في بدايتها العظيمة ، وخلق مشكلات كبيرة في العالم الإسلامي ، وأدىٰ إلى سفك دماءٍ كثيرة على الأرض ، وهذه المطالعة يمكن أن تكون تجربةً بناءةً بالنسبة للثورة الإسلامية العاصرة تمنحها الكثير من الدروس .

وقبل أن تشرح موضوع «صنمية الشخصية» ، من الضروري التذكير بأن الشخصيات على نوعين ، يُعتبر الاتباع المطلق للنوع الأولى شركاً وعبادةً للأصنام ، ويعتبر الاتباع المطلق للنوع الثاني عين عبادة الله وتوحيده .

بالنسبة لتلك المجموعة من البشر الذين سبقوا الآخرين في السيرة التكاملية ، ووصلوا إلى ذروة التكامل الإنساني في السير باتجاه المطلق تعالىٰ ، وتحققت فيهم بالفعل استعدادات الكمال ، وتفتحت فيهم الطاقات الكامنة في الإنسان ووصلوا إلى مقام الهداية والإمامة المطلقة ، فهم المصداق الأكمل لخلافة الله تعالىٰ بالنسبة لهذه المجموعة فان طاعتهم المطلقة هي عين طاعة الله وعبوديته وحقيقة التوحيد فهم تجسيد عينيٌ للوحي الالهي بمعنىٰ أن حياتهم ومواقفهم الشخصية والاجتماعية معيار لمعرفة الوحي ، ومصداق هؤلاء متحقق في المعصومين فقط عليهم السلام مثلما يقول نبي الإسلام (ص) عن الإمام علي (ع) : «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار»[1] ، ونقرأ في زياراتهم : «السلام عليك يا ميزان الأعمال . .»

نعم ، فعندما يصل الإنسان إلى مرتبة الإمامة المطلقة ،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٢٩٧ ويؤكد ابن أبي الحديد في تعليقه على الحديث بأن صحته ثابتة بأسانيد صحيحة .

ويصبح التجسيد المشهود للوحي والقرآن الناطق ، عند ذاك تصبح شخصيتُهُ ميزاناً ومعياراً لمعرفة مستوىٰ تكامل الإنسان .

وتصبحُ أعمالُهُ ومواقفه معيار الحق والباطل ، ولذلك فإن نبي الإسلام (ص) وضمن وصاياه لعمار بن ياسر فيما يتعلق بالحوادث المستقبلية يوصيه بالتزام أي موقف يتخذه الإمام علي (ع) ويذهب معه حيثما ذهب حتىٰ لو ذهب الناس جميعاً إلى خلاف ذلك فعليٌ مع الحق لا ينفصلان»[1] .

ولما تقدم فان طاعة مثل هذه الشخصيات ـ وهي تجسيد الوحي والقرآن الناطق ـ واتباعها اتباعاً مطلقاً ، ان ذلك ليس عبادة شخص ولا شركاً ولا مانعاً لديمومة الثورة بل على العكس وكما أشير إلى ذلك في البحوث السابقة ـ إن ديمومة قيادة مثل هذه الشخصيات هو ضمانة لديمومة الثورة .

«تأليه الابطال»

وأما بالنسبة لتلك المجموعة من البشر الذين لم يصلوا إلى تلك المرحلة من الكمال في مسيرة التكامل ، فلا يمكن بأي حال أن تكون مواقفهم معياراً للحق والباطل مهما كانوا أبطالاً ، أبطال علم ، أبطال خطابة ، أبطال نضال وجهاد و . . .

---

(١) راجع دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر ج٢ ص٣٠٢ .

وعبادةُ البطل تسلبُ من الإنسان القدرة على التفكر ، والإبداع والمقارنة بين الحق والباطل ، ويحل البطل المؤله فيه محل قدرة التفكير ، ويزول حسنُ الإعتماد على النفس ، و «عابد البطل» يلجأ إلى الضرب على رأس مَنْ يخالفه في عقائدهِ انطلاقاً من تقليده «لرمزه البطولي» بدلاً من اللجوء إلى الإستدلال الصحيح لمعرفة الحق من الباطل ، وهذه الحقيقة مشهودة في مختلف المجتمعات وفي كافة المدارس الفكرية .

والمطلع على تاريخ صدر الإسلام يعرف أن عبادة الرموز البطولية وتعظيم الشخصيات الكبيرة ذات السوابق الجهادية الطويلة ، شكل أحد أهم أسباب عرقلة مسيرة الثورة الإسلامية آنذاك وعدم استمرارها وظهور الكثير من الحروب وإراقة الدماء بغير حق .

في معركة الجمل ، كان في جيش الإمام علي (ع) رجلٌ قد سيطر عليه الشك والتردد ، إذ كان يرىٰ في أحد طرفي المعركة ، عليّاً (ع) ومعه جمعٌ من الشخصيات الإسلامية الكبيرة يحاربون ، وعلى الطرف الآخر يرىٰ أُم المؤمنين عائشة ومعها شخصيات أمثال طلحة ـ وكان ذا سابقة حسنة ، ومن الرماة المهرة ـ ومعه الزبير وسابقته أفضل من طلحة وكان من الذين تحصنوا في بيت علي (ع) خلال مجريات السقفية ، ولكنه اليوم يشهر السيف بوجه علي (ع) .

هذا الرجل انتابته مما يرىٰ وهو لا يدري أي الطرفين على الحق ، وكما يقول العلامة الشهيد المطهري : ـ «لو أننا نرىٰ اليوم علياً وعمار وأويس القرني في جبهة وعلى الجبهة الأُخرىٰ نرىٰ عائشة والزبير وطلحة ، لما وقعنا في الحيرة والشك بسبب ذلك لأننا سنرىٰ في وجوه الجبهة الأُخرىٰ آثار الخيانة ونرىٰ فيهم وجوه أهل النار ولكننا لو كنا في ذلك الزمان وكنا قد رأينا سوابقهم ، فلعل الحيرة قد انتابتنا ـ مثلما انتابت ذلك الرجل من جيش علي ـ .

إننا نعتقد اليوم بأن الطائفة الأولىٰ على الحق والثانية على الباطل لأننا عرفنا من خلال مرور كل تلك الأعوام والقرون واتضاح حقيقة علي وعمار من جهة وحقيقة الزبير وطلحة وعائشة من جهة أُخرىٰ ، عرفنا الحقيقة واستطعنا الحكم بصورةٍ صحيحة ، أو على الأقل قد عرفنا هذه الحقيقة من الآخرين إذا لم نكن من أهل البحث والتحقيق ـ وسمعناها منذ الصغر ، ولكن في ذلك الوقت لم يكن أثرٌ لأيّ من هذين العاملين . .»[1] .

وعلى أي حالٍ فان ذاك الرجل واسمه «الحارث بن حوط» توجه إلى الإمام علي (ع) وأعرب عن حيرته وهو يرىٰ

(١) الشهيد المطهري في كتابه «جاذبة ودافعة علي» بالفارسية ص١٣٧ ـ ١٣٨ .

الفتنة ويرىٰ البدرية ـ أهل بدر ـ تقاتل البدرية وشكه في أن يتفق أمثال أصحاب الجمل على باطل فأجابه الإمام (ع) : ـ «إنك لملبوس عليك إن الحق والباطل لا يُعرفان بأقدار الرجال ، اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف أهله . . . »[1] .

في هذه العبارة التي يصفها طه حسين بأن ليس هناك حكمة أسمىٰ وأبلغ منها فمنذ انقطع الوحي لم تُسمع مثل هذه

---

(١) هذه الكلمة الحكيمة وردت بألفاظ مختلفة ومعاني متحدة مروية عند الإمام عليه السلام في العديد من المصادر الإسلامية : ـ فقد ورد في نهج البلاغة ـ رقم ٢٦٢ من قصار الحكم ان جواب الإمام كان : ـ «إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت ، إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» وفي مستدرك النهج نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي ورد جواب بهذه الصورة «يا حار إنك ملبوس عليك إن الحق والباطل لا يعرفان بالناس ولكن اعرف الحق باتباع من اتبعه والباطل باجتناب من اجتنبه» نهج السعادة ج١ ص٢٩٨) .

وفي أمالي الشيخ المفيد ص٣ وردت القصة بهذه الصورة «فقال له الحارث لو كشفت فداك أبي وأمي الدين عن قلوبنا وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا» فقال عليه السلام : ـ «إنك إمرءٌ ملبوس عليك إن دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق فاعرف الحق تعرف أهله» .

والنص الذي اخترناه في المتن يوافق ما اختاره الأُستاذ الشهيد المطهري عن كتاب علي وبنوه وعلة الإختيار اعتقادنا بأن هذا النص هو أمتنها . .

الحكمة العظيمة . . . في هذه العبارة ينبه الإمام هذا الرجل الذي وقع في الحيرة أنك في خلطٍ خطير فالحق والباطل لا يُعرفان بمعايير الشخصيات انك اتخذت الشخصيات مقياساً للحق والباطل وعليك بالعكس أي أن تعرف الحق والباطل أولاً ثم تقيّم الأشخاص على ضوء ذلك فستعرف أهل الحق وأهل الباطل .

وعلى أساس ما تقدم نفهم أن إحدىٰ القضايا المهمة التي يجب علينا الإنتباه إليها بدقة فيما يتعلق بديمومة الثورة الإسلامية المعاصرة هو اجتناب تأليه وعبودية «الرموز البطلة» ، يجب أن لا نضع صنماً من أي شخص ، وأن لا نعتبر أي شخص معصوماً ، بصورة كاملة ، لنمنح لأنفسنا حق التفكير والتشخيص ، ولنتخذ الحق معياراً للتشخيص وبالإلتزام بهذه المنهجية وبدقة لنوسع ـ بمشيئة الله ـ إطار الثورة الإسلامية لتشمل العالم كله . . على أمل حلول ذلك اليوم .

الفصل السادس

«لا للخوف من الموت الأحمر»

إن سر حياةِ أية أُمة هو عدم رهبتها من الموت ، فالأُمّةُ التي لا تخاف الموت هي حيّةٌ على الدوام ، والشعب الذي يفضل الحياة الذليلة على الموت المشرف هو شعبٌ ميتٌ على الدوام ، وهذا هو معنىٰ قول الإمام علي في نهج البلاغة .

«فالموت في حياتكم مقهورين ، والحياةُ في موتكم قاهرين»[1] .

إن الذي أعطىٰ المسلمين في البداية العظيمة للإسلام ، أعطاهم الإقدام والجرأة على الصمود والوقوف بوجه القوىٰ والقوىٰ الكبرىٰ ، وجعلهم ينتصرون مع فقدان العدة ، والعدد

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ٥١ .

الكافيين ، على أكثر الجيوش تطوراً في ذلك العصر ، إن ذلك هو أنهم لم يكونوا يرهبون الموت ، بل كانوا يعتبرون الموت الأحمر والشهادة في سبيل الله أُمنية كبرىٰ .

في معركة أُحد كانت في يدِ أحد المقاتلين المسلمين بعض التميرات وكان يمضغ بعضها ، فسمع النبي (ص) يقول : ـ

«الجنة تحت ظلال السيوف»[1] .

وبمجرد سماعه لهذ الكلمة ، قال :

«بيني وبين الجنة هذه التميرات . . . »

قال هذه العبارة وألقىٰ التميرات ، ثم كسر غمد سيفه ، وهجم على العدو وقاتل حتى أُستشهد .

فموقف كلُ مسلمٍ تجاه الحياة والموت يجب أن يكون على ضوء هذه النظرة للعالم التي يوضحها الإمام علي (ع) في قوله : ـ «المؤمن الدنيا مضمارُهُ والعمل همتُهُ ، والموتُ تُحفتُهُ ، والجنةُ سبقتُهُ»[2] .

واستناداً على هذه العقيدة لا يهاب المسلمون الموت ،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٨ ص٦ .
(٢) غرر الحكم .

ويعتبرون الشهادة سعادةً ، وإلى الوقت الذي كانوا يتمتعون بهذه المعنوية التي يكمن فيها سر الحياة الحقة والإنتصار ، فأنهم كانوا يتغلبون على المشاكل الجسام : وظلوا يواصلون تحركهم لتحرير الشعوب المقيدة ، ولكن عندما سُلبت منهم هذه الروح ، ونسوا الآخرة وحياة ما بعد الموت وانشغلوا برعاية الأبدان وإترافها وهيمنت عليهم الأنانية حلت الهزيمة بالثورة الإسلامية ، من هنا نرىٰ الرسول الأعظم (ص) والإمام علي (ع) يحذران المسلمين من خطورة نسيان الآخرة على مسيرة وتقدم الثورة الإسلامية ، يقول الإمام علي (ع) في نهج البلاغة : ـ «أيُّها الناس إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان إتباعُ الهوىٰ وطول الآمل فأما إتباع الهوىٰ فيصد عن الحق وأما طول الآمل فينسي الآخرة . . . » .

عندما تسلم الإمام علي (ع) زمام السلطة ، كان المسلمون قد وصلوا من الناحية المادية إلى حالة من الرفاه النسبي ، وسُلبت منهم بسبب توجههم نحو الدنيا شيئاً فشيئاً روح التضحية والفداء والايثار وتلك الروح الثورية التي كانوا يندفعون بها لعناق الموت الأحمر ، لذلك كان (ع) يستشعر أخطار هذه الحالة التي يشاهدها لدىٰ المسلمين ، ويعاني بشدة منها ويُشير إلى ذلك في موارد متعددة من خطبه .

في الخطبة ٥٥ وبعد أن يذكر عبقةً من ايثاره وتضحيته

وباقي المسلمين في بداية البعثة النبوية يخاطب (ع) أصحابه الذين ضاق ذرعاً من تهاونهم وتخاذلهم ويقول «ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود ، ولا اخضّر للإيمان عود ، وأيم الله لتحتلبُنّها دماً ولتتبعنها ندماً . . . . »[1] .

ويقول في كلامٍ آخر له[2] :

«أيُّها النّاس المجتمعةُ أبدانهم ، المختلفةُ أهواءهم ، كلامكم يوهي الصُّمَّ الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، تقولون في المجالس ، كيت وكيت ، فإذا جاء القتال ، قلتم حيدي حياد . . . ومع أي إمام بعدي تُقاتلون ؟ ! المغرور والله من غررتموه . . . » .

ويُفهم من خطبة له (ع) ألقاها قبل أسبوع من استشهاده (ع) أن هذه الحالة المؤسفة ظلت على ما هي عليه إلى آخر أيام حكومتِهِ (ع) .

في هذه الخطبة ، يبدأ الإمام بالشكوىٰ من اتباعه ، فلماذا يتهاونون ويتخاذلون في اتباع الحق وجهاد الباطل ، بالرغم من جميع تلك الجهود التي بذلها من أجل عزتهم ورفعتهم ، ثم يجسد (ع) بعد ذلك عظمة درجة الشهادة ،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج٤ ص٣١ .
(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٩ .

وعدم قيمة الحياة في مقابل المسؤولية ، ويوضح أن أصحابه الذين أُريقت دماؤهم الزكية في صفين قد فازوا فوزاً مبيناً ، قلم يبقوا لتلك الأيام والآمها وغصصها ، ورحلوا إلى لقاء اليوم وحصلوا على جزيل الثواب عوضاً عن تضحياتهم وفدائهم .

ثم يذكر إخوانه في الختام بهذ الصورة .

«أين إخواني الذين ركبوا الطريق ، ومضوا على الحق ـ أين عمار ، وأين ابن التيهان ، وأين ذو الشهادتين ؟ ! . . . وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأُبرد برؤُوسهم إلى الفَجَرة . . .

ثم ضرب (ع) بيده على لحيته الشريفة الكريمة ، فأطال البكاء ثم قال (ع) :

«أوّه . . . على اخواني الذين تَلَوا القرآن فأحكموُهُ ، وتدبروا الفَرْضَ فأقاموه ، أحيوا السنة وأماتوا البدعة ، دُعوا للجهاد فأجابوا ، وَوَثِقوا بالقائِدِ فاتبعوُهُ»[1] .

وبتلك الصورة فان الثورة الإسلامية قد خفت تأججها وعُرضت للهزيمة بعد فترة قصيرة من إنطلاقتها وذلك بسبب التوجه نحو الدنيا والاعراض عن التضحية والشهادة .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج١٠ ص٩٩ .

وعندما نقارن الثورة الإسلامية المعاصرة في إيران بثورة صدر الإسلام الأول نرىٰ هذه الحقيقة مشهودة بوضوح ، فانتصار الثورة المعاصرة جاء فور خروج الرهبة من الموت من القلوب ، واندفاع الصغار والكبار والنساء والرجال ولا سيما الشباب المؤمن المجاهد إلى التضحية والاستشهاد فسالت دماءهم الزكية في الشوارع وواجهوا المدافع والدبابات بأيدٍ خالية وقبضات ملؤها العزم ، وبصرخات الله أكبر وبسلاح الشهادة انتصروا على أكثر الأسلحة المادية تطوراً .

والذي يبعث الأمل والثقة بالمستقبل أن هذه الروح التضحوية لا زالت موجودة ، ومثلما كان المسلمون في صدر الإسلام يأتون إلى الرسول الأعظم صلىٰ الله عليه وآله وسلم يطلبون منه أن يدعو لهم بالشهادة ، فاليوم أيضاً نشاهد صوراً مماثلة حيث يأتون إلى قائد الثورة الكبير الإمام الخميني ويطلبون نفس الطلب ، وما دامت هذه الروح موجودة لدىٰ شعبنا ، فيقينٌ أننا منتصرون ، نسأل الله أن لا ينزع هذه الروح الثورية عن شعبنا أبداً .

الفصل السابع

«مكافحة الذنب»

من وجهة نظر نهج البلاغة ، فان ديمومة واستمرار الحركة التكاملية لأية أُمةٍ ترتبطُ ارتباطاً مباشراً باستئصال الأمراض الاجتماعية ، ـ وعلى هذا ـ فان الثورة الإسلامية وهي ضمن التكامل المادي والمعنوي للإنسان ، يمكن لها أن تستمر في الحياة عندما تُستأصل جرثومة الذنب من المجتمع الثوري بالصورة التي تفتقد إمكانية اعادتها للحياة مرةً أُخرىٰ . . لاحظوا نص مقطعٍ من الخطبة رقم ١٧٨ .

«أيمُ الله ، ما كان قومٌ في غض نعمةٍ من عيش ، فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها» ، ﴿ إن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ .

إذن فضروري لديمومة الثورة ، تطهير المجتمع الثوري

من العوامل المرضية ومن جرثومة المعصية .

بعبارة أُخرىٰ ان استمرار فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمرٌ ضروريٌ لديمومة الثورة : وهذه وصية الإمام علي (ع) التي أوصىٰ بها ولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، في أكثر لحظات حياته (ع) حساسيةً ـ أي على فراش استشهادِهِ ، وهي تمثلُ عصارة تعاليمه (ع) .

«لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيوُليٰ عليكم شراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم . . . »[1] .

هذه الوصية وفي ظروفها الخاصة وبملاحظة كونها موجهة لشخصيتين كلاهما من أئمة وقادة الأمة الإسلامية العظام ، هذه الوصية ، تستحق التأمل والتدقيق بصورة مركزة ، وفي كلامه هذا ، تحدث الإمام أيضاً عما يتعلق بديمومة الثورة الإسلامية ، فعلىٰ ضوء سنة الخلق الثابتة ، فإنه وبترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لن يستطيع أي شيء وحتى الدعاء ـ دعاء الأخيار ـ أن يحول دون تسلط الجبابرة والأشرار على المجتمع ، وأن يضمن خلاص وحرية الإنسان ولن يستطيع أن يضمن ديمومة الثورة الإسلامية «التي كان هو (ع) يقودها في ذلك العصر» .

---

(١) الرسالة رقم ٤٧ .

إذن فما لم تُبذل الجهود المتتابعة والمستمرة من أجل مكافحة الخيانة ، الربا السرقة ، البخس في الميزان ، سفك الدماء بدون حق ، الكذب ، البهتان ، الغصب ، قطع الرحم ، الشرك ، التحالف مع الشرك ، الزنا ، واللواط ، وأمثال ذلك من الأمور التي عرفها الإسلام كذنوب ومعاصي ، أقول ما لم تبذل الجهود من أجل مكافحة هذه الأمور فان عقد الأمال على ديمومة الثورة الإسلامية لا يعدو أن يكون سراباً وخداعاً لا أكثر .

وما يلفت الإنتباه ويستحق التأمل هنا هو ـ وحسب نظرة الإمام علي (ع) ـ فان أم جميع الرذائل وأكبر الذنوب الذي لا يغتفر هو الظلم يقول (ع) بهذا الخصوص «الظلم أم الرذائل»[1] .

ويقول أيضاً : «أياك والظلم فانه أكبر المعاصي»[2] .

إذن فضروري لديمومة الثورة أن تعبأ جميع القوىٰ الوطنية من أجل مكافحة أصل وأساس كل المعاصي وهو «الظلم»[3] .

---

(١) غرر الحكم .

(٢) غرر الحكم .

(٣) لتفصيل أكثر راجع كتاب (العدل في المدرسة التوحيدية) تصنيف المؤلف الدرس الثاني من القسم الثاني والثالث من الكتاب .

الفصل الثامن

«الثورة الثقافية»

موضوعُ «الثورة الثقافية» ، هو واحد من المواضيع التي طُرحت ـ بدرجة أو بأُخرىٰ ـ بعد انتصار الثورة ، في المجتمع الثوري الإيراني ، والأن «في وقت كتابة هذه السطور» ، عام ١٩٨٠ ، يتردد هذا الموضوع بكثافة ، وقد وقعت بخصوص ذلك حوادث مؤسفة في جامعات القطر ، وضمن إطار هذا الموضوع ، نظم جمعٌ كبيرٌ من الجامعيين الإسلاميين بمشاركة كافة طبقات الشعب ؛ مسيرةٌ عظيمةً باتجاه محل إقامة الإمام الخميني في طهران ، وقد كان بين الشعارات التي رُددت في المسيرة ، والتي تُلفت الإنتباه فيما يتعلق بموضوع البحث شعاري «ديمومة الثورة في الثورة الثقافية» «الثقافة الأميريكية دمارٌ للثورة» .

أعتقدُ أن أفضل بيان لتفسير مفهوم الثورة الثقافية هو خطاب الإمام الخميني في يوم ١/ ٢/ ١٣٥٩ . فقد ألقىٰ قائد الثورة الإيرانية العظيم هذا الخطاب ؛ في الوقت الذي كانت تتلاطم فيه في الشوارع المحيطة بمجمل إقامته ـ حفظه الله ـ أمواج الجامعيين الإسلاميين بمشاركة باقي طبقات الشعب والتي وصل تعدادها إلى مئات آلاف ـ كما ذكرت التقارير ـ والتي تجمعت في نهاية مسيرتها حول مقر إقامة الإمام وهذا هو نص خطاب الإمام : ـ

«سلام عليكم يا شعب إيران العظيم ، سلامٌ على أبناء الأُمة الإسلامية في العالم ، سلام على الجامعيين المحترمين الذين هم جند الإسلام .

أرىٰ من الضروري أن أذكّر بأمرٍ كي يتضح ما هو تصورنا لإصلاح الجامعات ؟ !

لقد اعتقد البعض أن الذين يُريدون إصلاح الجامعة ويريدونها جامعةً إسلاميةً اعتقدوا أن العلوم على قسمين ، فعلم الهندسة . . هناك علمٌ إسلامي وآخر غير إسلامي وعلم الفيزياء ، نوعٌ إسلامي وآخر غير إسلامي : ومن هنا اعترضوا بأن ليس في العلم إسلاميٌ وغير إسلامي .

وبعض توهم . . أن أولئك الذين يقولون بأن

الجامعات يجب أن تكون إسلاميةً ، يعنون أن لا يكون فيها محل سوى لعلوم الفقه والتفسير والأُصول أي يجب أن يُدرس فيها ما كان يُدرس في المدارس القديمة ، وهذا اشتباه وخلط يقعُ فيه البعص أو أنهم يُلقون فيه أنفسهم .

إن ما نريد أن نقولَهُ هو أن جامعاتنا عميلة ، جامعاتنا جامعات استعمارية جامعاتُنا تُربي وتُعلم أشخاصاً يصبحون غربيين . الكثير من المعلمين هم متغربون ويحولون أبناءنا إلى متغربين أيضاً .

نحن نقول إن جامعاتنا ليست جامعات يمكن أن تفيد أمتنا . . .

نحن لدينا جامعة منذ خمسين عاماً ، بتلك الميزانيات الضخمة التي تأخذ من حاصل كدح الشعب ، ومع ذلك لم نستطع طوال الخمسين عاماً هذه أن نصل إلى مرحلة الإكتفاء الذاتي في العلوم التي تدرس في هذه الجامعات .

نحن وبعد خمسين عاماً إذا أردنا معالجة مريض ، أطباءنا ـ بعضهم أو كثيرٌ منهم يقولون ، يجب أن يذهب هذا المريض إلى انكلترا ، لدينا جامعاتٌ مُنذ خمسين عاماً ومع ذلك وبحسب اقرارهم أنفسهم ليس لدينا أطباء بالمقدار الذي يسدون احتياج هذا الشعب مُنذ سنين لدينا جامعات ولكننا

محتاجون إلى كل الأمور الضرورية للأُمة .

نحن نقول ان الجامعات يجب أن تتغير من الأساس ، أن تحدث فيها تغييرات جذرية .

نحن نقول أرونا ما هي المنجزات التي حققتها الجامعات التي لديكم منذ خمسين سنة أو أكثر .

نحن نقول إن هذه الجامعات ـ الغربية ـ هي عامل منع تقدم وتطور أبناءنا .

نحن نقول أن جامعاتنا هذه تحولت إلى ميادين للصراع الاعلامي .

نحن نقول أن شبابنا وحتى إن حصلوا على العلوم فيها فانهم لم يحصلوا على التربية وان حصلوا على شيء فما هو بالتربية الإسلامية . الذين يتعلمون إنما يتعلمون من أجل الحصول على شهادة وورقة يتحولون بها إلى عالة إضافية على الشعب لقد هدروا خلال هذه الأعوام الخمسين طاقاتنا أو فرضوا عليها خدمة الأجانب .

إن المعلمين في مدارسنا ـ بصورة عامة ـ ليسوا إسلاميين ، ولم تقترن التربية بالتعليم ، ولذلك فان جامعاتنا لم تخرج الإنسان الملتزم .

لم تخرج الإنسان المخلص لصالح شعبه وبلده والذي لا تتوجه عيناه إلى منافعه الشخصية ، لذلك فنحن نقول يجب إيجاد تغييرات جذرية في هذه الجامعات .

الكثير من أساتذة جامعاتنا يخدمون مصالح الغرب ويمارسون عمليات غسل الدماغ ضد شبابنا . . .

لو كانت التربية والأخلاق الإسلامية موجودة في جامعاتنا لما تحولت إلى ميدان لتلك الإشتباكات التي آلمتنا كثيراً . .

فيجب إيجاد تغييرات جذرية في الجامعات ويجب أن تُبنىٰ من جديد ليتربىٰ أبناؤنا فيها تربية إسلامية إلى جانب تحصيل العلوم لا أن يتربوا تربية غربية ، ولا أن تُجرَّ طائفة منهم باتجاه الغرب والأُخرىٰ باتجاه الشرق .

نحن نريد أن يقف شبابنا الجامعي في مواجهة الغرب عندما يقف شعبنا في مواجهته ، وأن يقفوا في مواجهة الشيوعية عندما يقف شعبنا في مواجهتها .

والآن عندما نريد أن نوجد تغييرات جذرية وننشىء جامعات مستقلة غير مرتبطة بالغرب ولا بالشيوعية والماركسية ، تظهر تكتلات ـ معارضة ـ .

نحن نريد أن يكون شبابنا مستقلين ، لا متشرقين ولا متغربين ينظرون إلى أنفسهم وما يحتاجونه هم ـ لا ما يحتاجه الشرق والغرب ـ .

أولئك الذين خرجوا في الشوارع أو في باحات الجامعات وافتعلوا الإشتباكات وسببوا مشكلة للحكومة والشعب ، هم أما عملاء للغرب أو للشرق واعتقد أنهم موالون للغرب .

نحن نقول أن هذه الأنظمة الموجودة في الجامعات تجر شبابنا اما إلى الشيوعية واما إلى الغرب . .

إن معنى أسلمة الجامعات هو أن تصبح مستقلة غير مرتبطة بالعمالة لا للغرب ولا للشرق ، فلا بد للبلد المستقل أن تكون له جامعات مستقلة وثقافة مستقلة .

أعزائي . . اننا لا نخشى الحصار الاقتصادي ولا نرهب التدخل العسكري الأجنبي ، بل إن ما يقلقنا هو الارتباط والعمالة الثقافية ، أننا نخشىٰ الجامعات الإستعمارية التي تربي شبابنا تربيةً تجعلهم خدمةً لمصالح الغرب أو خدمةً للشيوعية . . . »[1] .

---

(١) صحيفة جمهوري إسلامي العدد رقم ٢٥٩ .

يمكن تلخيص حديث الإمام المتقدم عن الثورة الثقافية وأسلمة الجامعات في النقاط التالية : ـ

ألف : إن العلم لا يُقسم إلى إسلامي وغير إسلامي .

ب : الثورة الثقافية وأسلمة الجامعات لا تعني تدريس علوم الدين وحدها في الجامعات .

ج : إن جامعاتنا عميلة واستعمارية لذلك فهي لا تستطيع تلبية إحتياجات مجتمعنا .

د : إذا كانت هناك في جامعاتنا علوم وتعليم فليس فيها تربية ، لذا فالنظام التعليمي الموجود لا يستطيع تخريج أشخاص ملتزمين نافعين للمجتمع .

هـ : ان الأجواء السائدة في جامعاتنا هي بالكيفية التي تجر شبابنا أما إلى الإرتباط إما بالمعسكر الشرقي أو الغربي .

و : إن هدف الثورة الثقافية وأسلمة الجامعات هو تحريرها من العمالة للشرق والغرب فتنضم إلى صفوف الأمة عندما تواجه الشرق أو الغرب .

ز : وأخيراً فأننا لا نخشىٰ الحصار الإقتصادي ولا العدوان العسكري الأجنبي بل إن ما يقلقنا هو الجامعات التي تجر شبابنا إلى اليمين أو الشمال . . .

«الانحراف إلى اليسار أو اليمين»

إن أحد المصطلحات الدقيقة واللطيفة الواردة في نهج البلاغة فيما يتعلق بديمومة الثورة الإسلامية ، هو مصطلح الميل إلى اليمين واليسار .

فقبل قرون من إنتشار هذا المصطلح في العالم ، ومن ظهور مصاديق لمصطلح اليمينين واليسارين ، طرح الإمام علي (ع) هذا الموضوع والمصطلح محدداً خط الإسلام وموضحاً أنه إذا أريد للثورة الإسلامية أن تتواصل فعلى الأمة الإسلامية اجتنابُ الميل والإنحراف إلى اليسار أو اليمين ، وقد ورد هذا المعنىٰ في ثلاثة موارد في نهج البلاغة .

المورد الأول : جاء في الخطبة رقم ١٦ التي ألقاها الإمام عليه السلام بعد إستلامه الحكم يقول(ع) : اليمينُ والشمال مضلة ، والطريق الوسطىٰ هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة وإليها مصير العاقبة . . » .

المورد الثاني : في الخطبة ١٥٠ وفيها يتنبأ الإمام بما سيقع بعده ويقول :

«وأخذوا يميناً وشمالاً ضعفاً في مسالك الغي وتركاً لمذاهب الرشد» .

المورد الثالث : في الخطبة ٢٢٢ فيما يتعلق بذكر الله وضمن الحديث عن خصائص القادة الإلهيين يقول (ع) : « . . . ـ هم ـ بمنزلة الأدلة في الفلوات ، مَنْ أخذْ القصد حمدوا إليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن أخذ يميناً وشمالاً ذموا إليه الطريق وحذروه من الهلكة . . . » .

وتلاحظون في هذه النصوص أن خط الثورة الإسلامية هو الوسط . فلا ميل فيه لليمين ولا الشمال وبعبارة أُخرىٰ لا شرقية ولا غربية ، فالإمام يصف الطريق التوحيدي الذي يوصل إلى الكمال الإنساني وتحقق حكمة الخلق ، بأنه «الجادة الوسطىٰ» فيما يصف المدارس المنحرفة وطرق الشرك بوصف «اليمين والشمال» ، وهذا هو أساس هذين الشعارين العظيمين والتعبويين «الإسلام منتصر واليمين واليسار مهزومان» «لا شرقية ، لا غربية ، جمهورية إسلامية» ، ولكن مع الأسف فان بعض قادة منظمة «مجاهدي الشعب» يهاجمون هذا الأساس الذي يعتبر الإمام علي (ع) خط الإسلام الأصيل ويعتبرونه تذبذباً وخواءً يؤدي إلى الوقوع تحت سلطة الغرب ، إننا هنا نذكر أقوال هؤلاء ونترك للقراء المنصفين أمر مقارنتها بما ورد في نهج البلاغة والحكم عليها ، يقول مسعود رجوي رئيس المنظمة «إننا مع الأسف نرىٰ أولئك الذين يلهجون بشعار «اللاشرقية واللاغربية» يرفضون في ميدان الموازنة

الإيجابية بين الشرق والغرب ، حتى الإستفادة من ورقة الديبلوماسية والدعم السياسي للشرق في مواجهة الغرب ولكنهم في نفس الوقت يتمادون في مساومة الغرب ومماشاته»[1] .

وهنا أوجه سؤالاً إلى القراء المحترمين هو هل أن دعاة شعار اللاشرقية واللاغربية وعلى رأسهم قائد الثورة الكبير الإمام الخميني الذين إلتزموا بهذا الشعار إستلهاماً من الإسلام النقي ونهج البلاغة هل هؤلاء هم مساومون ومسايرون لأميركا . . وهل هذه هي إلا تهمة فجة لقادة الثورة . . نترك الحكم لكم .

---

(١) صحيفة كيهان «الإيرانية» العدد ١٠٩٧٥ بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٨٠ ، ونظير لنفس هذا القول تكرر على لسان رئيس الحزب الشيوعي الإيراني آنذاك «حزب توده» نور الدين كيانوري ، في خطاب نشرته الصحيفة المذكور في نفس العدد .

الفصل التاسع

تشخيص المنافقين

«أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون . . .» الرسول الأعظم (ص) .

حسبما يؤكده نهج البلاغة ، ليس هناك خطرٌ أكبر على ديمومة الثورة الإسلامية من خطر المنافقين وما من آفةٍ مثل النفاق تهدد نمو وحركة الأمة الإسلامية .

الإمام علي (ع) وعندما عهد إلى محمد بن أبي بكر بحكم مصر ، زوده بالتوجيهات اللازمة ضمن رسالة بعثها إليه ، وقد شرح له في تلك أكبر خطرٍ يهدد الثورة الإسلامية وبلسان رسول الله (ص) :

«ولقد قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : ـ

إني لا أخاف على أُمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيمنعه الله بأيمانه ، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه ، ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون»[1] .

في هذا الحديث يصرحُ نبي الإسلام (ص) ، بأن ليس هناك خطرٌ يهددُ ديمومة الثورة الإسلامية من طرف مذاهب الشرك «أعمُ من الماركسية وغيرها ، إذْ أن الإسلام قويٌ وغنيٌ من الناحية الفكرية والثقافية ، بالصورة التي لا يمكن لأي مدرسة فكرية ، أن تتحداه ، لذلك فلن يقع المجتمع الإسلامي أبداً في مصيدة الشرك وبضمن الماركسية ، والشيء الوحيد الذي يُمكن أن يحول دون ديمومة الثورة هو النفاق وخطر المنافقين أولئك الذين يظهرون بأقوالهم أنهم مسلمون والمدافعون حقاً عن الإسلام الأصيل إسلام علي (ع) لكن أعمالهم تصنفهم في جبهة أعداء الثورة والإسلام والإمام علي (ع) .

ولنفس هذا السبب نجدُ أن مفردتي الطاغوت والمترفين وهما اللتين تصفان عدوين مشتركين متعاهدين لمحاربة أنبياء الله والتصدي لهم على طول التاريخ ، نرىٰ أن كلَّ واحدةٍ من هاتين المفردتين لم تتكرر أكثر من ثمان مرات في الموارد

(١) نهج البلاغة الرسالة رقم ٢٧ .

المختلفة في القرآن ، ولكن فيما يتعلق بموضوع «المنافقين» ، كرر القرآن الكريم مفردة النفاق ـ بعناوينها المختلفة ، في سبعة وثلاثين مورداً ، أي أكثر من أربعة أضعاف تكرار مفردتي «الطاغوت ، المترفين» ، وقد حذر القرآن الكريم الأُمة الإسلامية من هذا الخطر العظيم ، إضافة إلى أنه أطلع المسلمين على خطر المنافقين ومميزاتهم في الكثير من الآيات وبضمنها الآيات الأول من سورة البقرة ، بدون أن يستخدم مفردة النفاق ومشتقاتها .

وليس في القرآن الكريم سورةٌ بسم (الطاغوت) أو (المترفين)[1] ولكن ولأجل أن يتعرف المسلمون أفضل على الخطر المهدد لهوية الإسلام ، فقد وردت في القرآن الكريم باسم المنافقين وندب أن تقرأ هذه السورة كلَّ أسبوع في صلاة الجمعة ، كي لا تنسىٰ جماهيرُ المسلمين خطر المنافقين ، ومن أجل أن يسعوا أكثر وأكثر من أجل التعرف على الوجوه المعادية للإسلام المختفية وراء قناع النفاق .

وهذه الحقيقة القرآنية قد خضعت للتجربة في التاريخ الإسلامي مرتين على الأقل ، مرة في صدر الإسلام وأُخرىٰ في العصر الحاضر ، والتاريخ يدلُ بوضوح في كلا هاتين

---

(١) يعتبر ابن الأثير في كتابه «النهاية» ان المترف هو الغني المفرط في اللهو والاستجابة للشهوات .

التجربتين ، على أن الشرك مهما كان قوياً وبأية صورةٍ ظهر ، كان ينهزم ويندحر أمام التوحيد إذا كانت جبهة الموحدين متراصة ومتحدة ، وأن الشرك يعجزُ عن أن يشكل خطراً هاماً على الثورات التوحيدية . وإن الذي يهدد ديمومة الثورة التوحيدية بل ويعتبر أخطر آفاتِ الحركة الإسلامية ، هو الشرك في لباس التوحيد والمشرك في لباس الموحد .

وهذا الخطر هو الذي سبب الركود والتراجع للثورة الإسلامية في بدايتها العظيمة ، وهو الخطر الأكبر الذي يهدد الثورة الإسلامية المعاصرة بالهزيمة .

نعم ، فالمنظمات التي تطرح نفسها معاديةً للإسلام والدين صراحةً وعلانيةً ، لا تستطيع أن تشكل خطراً على ديمومة الثورة ، لماذا ؟ ! لأنها أولاً تعجز عن مواجهة الإسلام فكرياً ، وثانياً لأنها تفتقدُ القاعدة الشعبية ، لكن المنظمات التي ترفع شعار التوحيد وتدعي أنها تتحرك وفق العقائد الإسلامية وأن ما عندها هو الإسلام الصحيح والنقي وفي نفس الوقت لها محتوىً معادٍ للإسلام ، هذه المنظمات لهي خطرةٌ وخطرةٌ جداً على ديمومة التحرك والحركة الإسلامية .

«صفات المنافقين في نهج البلاغة»

الإمام علي (ع) يتطرق في نهج البلاغة إلى ذكر مميزات وصفات لأهل النفاق تجلب الإنتباه بقوة لأجل التعرف على المنافقين خاصةً في العصر الحاضر، ويبدأ الإمام عليه السلام بالقول:ـ

«أحذركم أهل النفاق، فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون».

ثم يشرع الإمام (ع) في ذكر صفاتهم بهذا التسلسل.

١ ـ التلون «يتلونون ألواناً ويفتنون افتناناً».

أول صفة يذكرها الإمام (ع) للمنافقين هي فقدانهم الموقف الثابت فهم يتلونون باستمرار، وهم يفسرون العمل الصالح بالعمل الملائم للعصر ويؤمنون بنظرية «أن الغاية تبرر الوسيلة»، ولذلك فهم يرون أن العمل الصالح هو الذي يتلاءم والظروف المكانية والزمانية، وحسب وجهة نظرهم ليس للعمل الصالح واقعٌ محفوظ وأن لكل زمان لوناً خاصاً وصورةً خاصةً للعمل الصالح المناسب، ونتيجة لهذه العلامة أي أن ليس للمنافقين موقف ثابت، فهم أولاً لا يستطيعون أن يمتلكوا عماداً ثابتاً، بل يصفون عماداً خاصاً لهم كل يوم حسب الظروف الزمانية الخاصة ولذلك يقول الإمام (ع) «ويعمدونكم بكل عماد».

وهم ثانياً يرون أن فخاً معيناً وثابتاً ولوناً واحداً لا يكفيان لاصطياد السذج وقليلي التجربة ، بل ينبغي إعدادُ فخاخٍ متعددة ومختلفة وبأشكال متعددة ، ولهذا يستمر الإمام (ع) ليقول «ويرصدونكم بكل مرصاد» .

٢ ـ الإستقامة الظاهرية «قلوبهم دوية وصفاحهم نقية» .

وثاني صفات المنافقين المذكورة في هذه الخطبة ، هي أن لهم دائماً ظاهراً حسناً يجلب الإنتباه ، ولكن باطنهم في نفس الوقت فاسد وخبيث فلا يمكن إذن الثقةُ بشخصٍ ما واتباعه لمجرد حسن ظاهره ، بل يجدرُ اختبارُهُ وإيجاد طريقةٍ للتعرف على كوامنه ـ باطنه ـ .

٣ ـ التحركات السرية «يمشون الخفاء ويدبّون الضراء» .

والمميزةُ الثالثة المذكورة في الخطبة هي أن المنافق يتحرك دائماً سرياً في الخفاء بعيداً عن أنظار الآخرين ، وكأنه يسير في غابة عظيمة ، بحيث لا يستطيع أحدٌ أن يرىٰ طريق ذهابه وحركته سوىٰ الأشخاص الذين يكونون إلى جانبه .

٤ ـ عملهم نقيض قولهم ، «وصفهم دواء ، وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء» .

ورابعة مميزات المنافقين هي أنهم ألبلسم والدواء في أقوالهم لكنهم الداء الذي لا دواء له في أعمالهم ، إذا تحدثوا كأن لديهم الدواء لجميع آلام المجتمع وكأن لا نظير لهم في مساندة الحق والعدالة ، لكنهم في أعمالهم على الطرف العاكس تماماً لأقوالهم ويعملون في الجبهة المعادية للثورة والشعب .

٥ ـ يُزعجهم حلُّ المشاكل الإجتماعية «حسدة الرخاء ومؤكدو البلاء» .

ولأن المنافقين يستمدون غذاءهم من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع ، ولأن طرح هذه المشاكل هو الذي يُمكنهم عن تضليل السذج والبسطاء ، وتقوية كوادرهم ، ولأنهم يعلمون أنه إذا حُلت هذه المشاكل يوماً ، فلن يبق لحنائهم ـ خضابهم ـ لوناً وتظل بضاعتهم كاسدةً بلا مشتري ، من هنا يتضح صفةٌ أُخرىٰ من مميزات المنافقين حسبما يحدده الإمام علي (ع) وهي كونهم يسعون على الدوام للإخلال باستقرار الناس فحل المشاكل الاجتماعية يؤذيهم لذا فهم يبذلون أقصىٰ سعيهم من أجل إثارة الإضطرابات المختلفة والإخلال بالأمن العام فيعززون مواقعهم من خلال ذلك .

٦ ـ يديمون الحديث عن اليأس وفقدان الأمل «ومقنطوا

الرجاء» .

مميزةٌ أُخرىٰ للمنافقين يحددها الإمام علي (ع) هي أنهم وبهدف زعزعة معنويات الجماهير وتشويه نظرتها تجاه القيادة الثورية ، يديمون الحديث باستمرار عن اليأس وفقدان الأمل ، ويتجاهلون الأثر الكبير للثورة في أعماق الشعب ، وتأثيرها الكبير على المستوىٰ الدولي ، وهم يثيرون الفتنة ويأججونها لتقنيط الجماهير عبر طرح المشاكل الملازمة لأية ثورة ، فتتركز أحاديثهم على أن الثورة لم تحقق شيئاً ولم تصل لأية نتيجة ، مستهدفين من ذلك بالتالي ، تدمير القاعدة الشعبية للثورة وإخراج قادتها من الساحة ، وإخلاء الميدان لأهدافهم المشؤومة .

٧ ـ مع الكل . .

«لهم بكل طريقٍ صريع ، وإلى كل قلبٍ شفيع ، ولكل شجوٍ دموع» .

ولعدم امتلاك المنافقين لخطٍ ثابت ، فان لهم ـ كما يقول الإمام ـ وسيلةً خاصةً بهم لشق الطريق إلى كل قلب ، ولهم لكلِّ غم وشجو دموعاً جاهزةٌ فهم قد أعدوا طرقاً مختلفةً لاصطياد الأفراد ، ونتج عن ذلك أن تكون لهم في كل طريق فخاخ ، يوقعون كلَّ شخصٍ في الهلاك بطريقةٍ ما .

٨ ـ يتبادلون الثناء «يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء» .

واحدةٌ أُخرىٰ من مميزات المنافقين هي تبادلهم المدح والثناء ، أي أن تمدح وتثني هذه المجموعة المنافقةُ على تلك المجموعة ، وترد الثانية بالمقابل تجاه الأولىٰ ، وهذه تُعطي رأيها لتلك وتأيد مواقفها لكي تقوم هذه بعمل مماثل .

٩ ـ يلجون لكي تتحقق مطالبهم «إن سألوا ألحوا» .

ومن علامات المنافقين الأُخرىٰ هي أنهم لا يفهمون المنطق ، فإذا كان لديهم مطلبٌ ما ، فلا يأخذون بنظر الاعتبار ظروف وإمكانات الطرف الآخر بل لا يدعونه ما لم يجبروه على الموافقة على طلبهم .

١٠ ـ يتقصون العيون «وإن عذلوا كشفوا . . . » .

ومن مميزات المنافقين الأُخرىٰ هي أنهم لا يتحدثون عن معائب الناس بهدف إصلاحها أو النهي عن المنكر ، بل لمجرد كشفها وفضح أصحابها وتسقيطهم إجتماعياً .

١١ ـ ومسرفون في الحكم «وإن حكموا أسرفوا» .

ومن مميزات المنافقين الأُخرىٰ هي إسرافهم في الحكم عندما يتصدون للحكم على شخص ، أو أمر ما ، فيصفونه

بالفساد ، ويحكمون عليه بعقابٍ يفوق حجم الجرم ، بكلمةٍ أُخرىٰ أنهم يعممون الأحكام بصورة مطلقة ، ولا مفهوم من وجهة نظرهم للحسن والقبح النسبيين ، وتكفي مشاهدتهم لأدنىٰ انحراف من شخصٍ لكي يحكموا بانحرافه مطلقاً .

١٢ ـ أعدوا لكل حق باطلاً» .

«قد أعدوا لكلِّ حقٍ باطلاً ، ولكل قائمٍ مائلاً ، ولكل حيٍّ قاتلاً ولكل بابٍ مفتاحاً ، ولكل ليلٍ مصباحاً» .

وهذه المميزة تتعلق بالمباحث الفكرية للمنافقين ، فلأنهم لا يمتلكون منطقاً ثابتاً في مباحثهم الفكرية ، يضطرون من أجل الرد على كل كلام منطقي متين إلى إعداد كلامٍ باطلٍ ومغالطات ، لكي يتغلبوا بخدعهم الخاصة على الطرف الآخر غير العالم .

وبهذه الصورة ، وحسب قول الإمام علي (ع) فانهم ـ أي المنافقين ، قد أعدوا لكل كلمة حق كلمة باطل ، ولأجل أن يفندوا كل فكرة لا يحبذونها يختارون مغالطة لدحض تلك الفكرة ، وأعدوا لفتح أي بابٍ مفتاحاً وصنعوا لكل ظلمة ، مصباحاً .

١٣ ـ يتوسلون إلى الدنيا بإظهار أعراضهم عنها .

«يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم وينفقوا

أعلاقهم» .

وهذه الخاصية ترتبط بلجوء المنافقين للتزوير من أجل تغليب بضائعهم الفكرية ، فهم يعلمون أن بضائعهم لو عُرضت على الناس بصورتها الحقيقية ، لما وجدت من يشتريها ، ومن هذه المعادلة ومن أجل أن يروجوا أسواقهم ويبيعوا بضائعهم فهم ـ حسب وصف الإمام(ع) ، يتخذون من الأعراض عن المطامع المادية ، وسيلةً لتحقيق أطماعهم .

١٤ ـ يمزجون الحق بالباطل .

«يقولون فيشبهون ، ويصفون فيموهون ، قد هوّنوا الطريق ، وأضلعوا المضيق» .

وآخر علاقات المنافقين التي وردت في هذه الخطبة هي أنهم وإنطلاقاً من طبيعة أهدافهم ، يخلطون دوماً الحق بالباطل ، وهم دوماً كالشيء المطلي ، لهم ظاهرُ الحق من جهة وباطنٌ على نقيضهِ ولهذا فان أحاديثهم تولّدُ الشبهات لدىٰ عامة الناس ، وهم بهذه الكيفية يفسرون طيَّ طريق الحق وبما يطابق أهواءَ أتباعهم ، وبالتالي يرشدونهم إلى الطريق الضيق المليء بالمنعطفات والإنحرافات الذي تنعدم فيه إمكانية الرجوع ويختم الإمام عليه السلام خطبته بعد ذكرِهِ لصفات المنافقين بقوله : ـ

القسم الثاني

مسؤولية القادة تجاه ديمومة الثورة الإسلامية

١ ـ القيادة على أساس مبدأ الإمامة .
٢ ـ استئصال الاستضعاف .
٣ ـ الثورة الإدارية .
٤ ـ اجتناب سفك الدماء بدون حق .
٥ ـ عدم منح الفرصة للعدو .
٦ ـ عدم التضحية بالحق من أجل المصالح .

أن مسؤولية قادة الثورة تجاه ديمومتها لهي حساسةٌ وثقيلةٌ ومتشعبةٌ ومهمةٌ للغاية، ولايمكن مقارنتها بمسؤلية جماهير الشعب فالقادةُ هم محددوا مسيرة الثورة وهم ربابنتها الذين تؤدي أدنى غفلة، منهم أو تهاون الى تعريض سفينةُ الثورة للامواج المتلاطمة الخطرة.

ولذالك فرض الاسلام واجبات ثقيلة على الكادر المتصدي لقيادة المجتمع، وقد طُرحت معظم تلك الواجبات بل جميعها في نهج البلاغة وخاصةٌ في عهدِهِ (ع) لمالك ا لأشتر ونحن نعرض في هذا القسم من الكتاب أهم مسؤليات القادة تجاه ديمومة الثورة .

وهذه المسؤوليات عبارةٌ عن :

الفصل الأول

القيادة على أساس الامامة

«مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه» نهج البلاغة .

المقصود من «القيادة على أساس الإمامة» هو ان يكون قادةُ المجتمع تجسيداً للإسلام الأصيل ، فيتحدثون أقل ويعملون أكثر ، وطبق قول الإمام (ع) «ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه»[1] .

وطبيعيٌ أن الناس عندما يرون أن أقوال مدّعي القيادة أكثر من أفعالهم ، وعندما يرون أن الإسلام لم يتحقق بعد في

---

(١) نهج البلاغة فصل الحكم تحت رقم ٧٣ .

وجود نفس أولئك الأشخاص ، فلا شك بأنهم ـ الناس ـ سوف لن يندفعوا لتطبيق الإسلام في المجتمع .

نعم يجب إلتزام المنهج العلوي في تطبيق الإسلام في المجتمع لكي يتم كسب ثقة الناس بالكادر القيادي ، لنرىٰ كيف يتحدث علي (ع) مع جماهيره .

«إني والله ما أحثكم على طاعةٍ ، إلا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصيةٍ إلا وأتناهىٰ قبلكم عنها»[1] ويقول (ع) في كلام آخر «إني لأرفع نفسي عن أن أنهىٰ الناس عما لستُ أنتهي عنه أو آمرهم بما لا أسبقهم إليه بعملي . أو أرضىٰ منهم بما لا يرضىٰ ربيّ»[2] .

إذن فمن الضروري لاستحصال ثقة الشعب بالكادر القيادي وهي قاعدة ديمومة الثورة ، من الضروري أن تكون القيادة على أساس الإمامة ، وأن يكون نفسُ القادة ، قدوةً وأئمةً ، فعندما يتحدثون عن التقوىٰ والتزكية مثلاً ، يجب أن يكونوا هم أنفسهم مثالاً للتقوىٰ ، وعندما يتحدثون عن الزهد وعدم التعلق بالماديات ، ويدعون الناس إلى الأعراض عن عبادة الكماليات وحياة الترف ، يجب أن يكونوا هم أنفسهم نموذجاً للزهد ، وعندما يدعون الناس للثبات يجب أن يكونوا

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٧٥ .
(٢) غرر الحكم .

أنفسهم نموذج الإستقامة والثبات وإذا كانوا يتحدثون عن الإيثار والتضحية ، فيجب أن يكونوا هم مثال الإيثار والتضحية وإذا كانوا يطرحون أنفسهم كحماةٍ للمستضعفين ، فيجب أن ينسجم طرزُ معيشتهم مع هذا الإدعاء ، ولذلك يقول الإمام علي (ع) .

«إن الله فرض على أئمة العدل ، أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس»[1] .

نعم ، فمَنْ لم يذق ألم الفقر وليستْ له أيةُ مشاركةٍ للجماهير المحرومة ، لا يستطيعُ أن يتولى قيادة المستضعفين ضد المستكبرين ولكن عندما يجعل الإمام أو القائد حياته ومعيشته كمعيشة أفقر الناس وأكثرهم محرومية ، عندئذٍ ستحسُ الجماهير بأنه منها وتشعر عملياً بالإتحاد معه ، وسينفذُ هو إلى قلوب الجماهير ، بالصورة التي يستطيع معها أن يعبأ مستضعفي العالم ضد المستكبرين ، بقيادته الإلهية بعد قرون من وفاته وهكذا كان علياً عليه السلام .

«إمام المحرومين محروم»

لابن أبي الحديد حديث لطيف حول أسرار النفوذ الفريد للإمام علي عليه السلام في قلوب الجماهير وعشقها

---

(١) نهج البلاغة ٢٠٩ .

الكبير له ، ونذكر هنا خلاصة هذا الحديث ، إذْ يذكر ابن أبي الحديد أنه سأل أبا جعفر النقيب عن علة هذا العشق الكبير الذي تكنه الناس للإمام علي عليه السلام وأشترط عليه أن لا يتطرق أبو جعفر النقيب في جوابه إلى علم الإمام وشجاعته وفصاحته وبلاغته وسائر الخصال والخصائص التي حبا الله تعالى بها عليّاً بأكمل صورها : والسؤال لطيف بلا شك وكذا حال الجواب ، ففي بدايته أشار أبو جعفر إلى المعتاد أن لا تكون عامة الناس راضية عن أمور المعيشة فأكثر الأشخاص الكفوئين والمستحقين محرومون بل وغالباً ما يكونون محتاجين لغير الكفوئين الذين يمتلكون الثروات وبعد هذه المقدمة يقول أبو جعفر : ـ «فمعلومٌ أن علياً عليه السلام كان مستحقاً محروماً بل هو أمير المستحقين المحرومين وسيدهم وكبيرهم . .»[1] ثم يشير أبو جعفر في جوابه إلى أن من المعروف أن المحرومين يتعصب بعضهم لبعض ، ساخطين على أهل الدنيا وثرواتها فكيف سيكون موقفهم إذا كان هناك شخصٌ ذو رتبة سامية وشرف سامق ومجمع للفضائل الإنسانية لكنه في نفس الوقت محرومٌ مثلهم وتحمل أشد الآلام والمصائب ثم يُقتل في محراب العبادة ، ويستشهد بعده أولاده وتُسبىٰ عياله وتُبتلىٰ أسرتُهُ بالقتل والنفي والسجون على الرغم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج١٠ ص٢٢٢ ـ ٢٢٥ بصورة ملخصة .

من أن جميعهم فضلاء زهاد عباد كرامٌ أجواد يخدمون خلق الله ، وبعد عرض هذه الصفات لهذا الشخص ـ المقصود أمير المؤمنين (ع) ـ يخلص أبو جعفرٍ النقيب ليعطي زبدة جوابه بالقول : ـ

فهل يمكن الا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص ؟ ! وهل تستطيع القلوب الا أن تحبه وتهواه وتذوب فيه وتفنىٰ في عشقه» ؟ ! .

الفصل الثاني

«استئصال جذور الاستضعاف»

من وصايا الإمام (ع) لمالك الأشتر ـ المرشح لحكم مصر ـ هي قوله (ع) :

«فإني سمعتُ رسول الله ـ صلىٰ الله عليه وآله ـ يقول في غير موضع : لن تقدس أُمةٌ لا يؤخذُ للضعيف فيها حقَّهُ من القوي غير متعتعٍ . .»[1] . وهذا هو أصلٌ عامٌ ، وتعتبرُ مراعاتُهُ أمراً ضرورياً لازماً من أجل ديمومة الثورة الإسلامية .

«ماذا يعني تقديس الأمة»

التقديس : يعني التطهير والتزكية ، فإذا أرادت الثورة بعد انتصارها أن تدوم وتستمر ، فعليها تزكية الأمة ، فبدون

---

(١) نهج البلاغة الرسالة رقم ٥٣ .

استئصال جذور الفساد والإنحراف وإزالة ترسبات حكم الطاغوت من جميع مؤسسات الدولة فلا يمكن للثورة أن تدوم فهذه الجذور كالسرطان تنمو مرة أُخرىٰ وتجر الثورة إلى الفناء والزوال .

الإمام (ع) في كلامه المتقدم ، يعتبر أن ميزان تطهير المجتمع من رواسب حكم الطاغوت هو أن المؤسسات الحكومية تعمل بالصورة التي يُستأصل معها الاستضعاف من المجتمع بصورة كاملة . بحيث لا يمكن لأي قوي ـ صاحب الجاه أو الثروة أو المنصب أو القوة ـ أن يستغل قوته لتضييع حقوق الآخرين ، وبحيث يمكن للضعيف أن يأخذ حقه من القوى بسهولة .

والأمة والشعب التي لا يمكن استحصال حقه الضعيف فيها بسهولة ، ليس أنها لا يمكن أن تتزكىٰ وحسب بل وهي أيضاً معرضة للفناء والسقوط .

«سر هزيمة الثورات السابقة»

الإمام (ع) يذكر في رسالة لقادة جيشه ، أن علة سقوط الحكومات السابقة وسر فنائها كان هو أن الناس لم يكن في مقدورهم استحصال حقوقهم بسهولة وبدون رشوة ، لاحظوا نص الرسالة رقم ٧٩ : ـ

«فانما هلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه وأخذوهم بالباطل فاقتدوه»[1] .

إذن ، فان إحدىٰ أكثر واحبات ـ قادة الثورة الإسلامية حساسيةً هي ان يُوجدوا الظروف التي يمكن فيها لأي شخصٍ أن يحصل على حقه دون عناء ، فلا يكون الوضع بالصورة التي إذا اراد شخصٌ أن يأخذ حقهُ ، يظل في تعقيدات واعوجاجات الكوادر القيادية والروتين واللعب بالأوراق والذهاب والمجيء يظل في ذلك إلى الحد الذي يستحي من أخذ حقه ، أو أن يصل إلى حقه بأن يلجأ إلى وساطة هذا وذاك وبالنهاية باللجوء إلى الرشوة ولأجل إيجاد نظامٍ يكون معه استحصال الحقوق أمراً يسيراً ، هناك عملان ضروريان وهذان العملان يُلفت لهما الإنتباه في وصايا الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر في نهج البلاغة هما : ـ

١ ـ «الثورة القضائية»

ولأجل ان تصبح الظروف الاجتماعية في صالح المستضعفين وبعبارة أصح ، لأجل أن يُستأصل جذر الاستضعاف ، من الضروري أن يتغير الجهاز القضائي من الأساس ، لأن هذا الجهاز على المستوىٰ الدولي ليس أنه في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج١٨ ص٧٧ .

غير صالح المستضعفين وأصحاب الحق وحسب ، بل وأنه أساساً موجود لتحسين صورة عملية استنزاف المستضعفين ، وإضفاء الصبغة القانونية على جرائم المستكبرين ، فهذه المحاكم وُجدت لأجل انتزاع حقوق المستضعفين ، بصورة قانونية منهم ، والعالم رأىٰ مؤخراً كيف أن محكمة لاهاي الدولية تجاهلت الحق الثابت للشعب الإيراني ، وأدانت إيران بدلاً عن أميركا .

نعم فالنظام القضائي الموجود هو للقوة وللأقوياء ، وكل من يعطي أموالاً أكثر أو كانت له قوةٌ أكبر كان الحق معه .

والنظام القضائي في بلادنا كان هو أيضاً جزءٌ من النظام الموجود على المستوىٰ الدولي ، وقد رأىٰ الجميع ان القضاء إلى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية كان إلى جانب أي أشخاص.

والأن يجب أن يتغير النظام القضائي جذرياً فيصبح على عكس سابقه ، يصبح إلى جانب المستضعفين ، فيجب أن تُزال التعقيدات والإعوجاجات وروتين الأوراق ، والوساطات ، ويجب أن يتصدىٰ الكرسي القضاء القضاةُ الصالحون وفي النهاية أن يحقق المحتوىٰ الإسلامي في الجهاز القضائي للبلاد .

الإمام (ع) وفيما يتعلق بموضوع القضاء يُوصي مالك الأشتر بما يلي :

«ثم اختر للحُكم بين الناس ، أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تُمحكُهُ الخصوم ، ولا يتمادىٰ في الزلة ، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسُهُ على طمع ، ولا يكتفي بأدنىٰ فهمٍ دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلَّهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء وأولئك قليلٌ .

ثم أكْثِر تَعَاهُدَ قضائِهِ ، وأفسح له في البذلِ ما يُزيلُ علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، واعطه من المنزلةَ لديك ما لا يطمع فيه غيرُهُ من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فان هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يُعمل فيه بالهوىٰ ، وتُطلب به الدنيا» .

٢ ـ «منظمة الشرطة السرية لمراقبة موظفي الحكومة» :

والمسؤولية الثانية التي تجب على الكادر القيادي من أجل استئصال الاستضعاف وتيسير استحصال الحقوق ، هي

تأسيسُ منظمة للبوليس السري ، ولكن ليس من أجل إيجاد الرعب ومصادرة حرية الشعب ، بل من أجل المراقبة الدقيقة على موظفي الحكومة ، كي يُكشف مَنْ يخونُ الشعب ويعاقب ، يقول الإمام عليه السلام في وصاياه لمالك الأشتر .

« . . ثم تفقد أعمالهم . . ، وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهُدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية . . .

فانْ أحدٌ منهم بسَط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبارُ عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذتهُ بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة ، وقلدتُهُ عار التهمة .

الفصل الثالث

«الثورة الادارية»

عندما عهد الامام علي (ع) لمالك الأشتر بحكومة مصر ، أمره فيما يتعلق بالثورة الإدارية وانتخاب الموظفين الجدد ، بما يلي : ـ

«ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباةً وأثره فانهم جماعٌ من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة فأنهم أكرمُ أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقلُّ في المطامع اشرافاً وأبلغُ في عواقب الأمور نظراً» .

والعمل بهذه الوصية ، وتحقيق هذا الأمر ، واحدٌ من الوظائف الأولية والحساسة لقادة الثورة الإسلامية .

فعلى أساس المقاييس التي كانت قبل الثورة ، كان لكل من يخدم النظام الحاكم أفضل ، منصبٌ أهم ، أما بعد الثورة فيجب أن يُغير النظام الإداري للدولة والذي كان يعتمدُ على مبدأ استغلال الشعب وخدمة النظام ، فيجب أن يصبح مرتكزاً على مبدأ ان كلَّ من يستطيع أن يخدم الشعب أفضل ، يُنصبُ في موقع أهم وأكثر حساسية ، وعلى هذا يجب أن يكون المقياس في العزل والتعيين هو الكفاءة لا شيئاً آخر .

وما لم يتحقق هذا التغيير فان عدم انسجام النظام الإداري للدولة مع مطالب المجتمع الثوري ، سيبعث ويزيد كل يوم من حالة الاستياء العام ، وبالتالي يُمهد الأرضية لسقوط وهزيمة الثورة ، من هنا نجد أن الرسول الأعظم صلىٰ الله عليه وآله كان يؤكد على أن مَنْ ولى رجلاً على أمر من أمور المسلمين وفيهم مَنْ هو أفضل منه فقد خان الله[1] .

ومن نفس هذا المنطلق ، كان رسول الله (ص) في الكثير من الحالات يعهدُ بمناصب حساسة لأشخاص بحيث كان الأمر يُثيرُ تعجب الجميع ، ومنها أنه (ص) وفي آخر عمره الشريف عين أُسامة بن زيد وهو فتى شاباً قائداً لجيش عظيم ، ووضع تحت أمرته الكثير من كبار الصحابة المعروفين .

---

(١) مضمون حديث يورده العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار ج٢٣ ص٧٥ .

وفي حديث أنه (ص) عندما أرسل مجموعةً من المسلمين إلى اليمن ، أُنتخب لهم قائداً كان أصغرهم جميعاً وعندما اعترض عليه وسُئل (ص) عن سبب ذلك أوضح (ص) بأنه ـ أي ذلك القائد الصغير ـ عارفٌ بالقرآن[1] .

(١) راجع كنز العمال ص٢٨٦ .

الفصل الرابع

«سفك الدماء بغير الحق»

ورد في نهج البلاغة تأكيدٌ على أن من الأمور التي تهدد ديمومة الثورة الإسلامية بل وأكثرها تأثيراً في إسقاط الثوة هو «سفك الدماء والإعدامات بدون حق وبناءً على هذا يجب على قادة الثورة الحريصين عليها ، ان يعملوا بكل قوة لمنع هكذا سفك للدماء .

يقول الإمام (ع) في الرسالة ٥٣ في نهج البلاغة ضمن وصاياه لمالك الأشتر عامله على مصر : ـ «وإياك والدماءِ وسفكها بغير حلها ، فانه ليس شيء أدعىٰ لنقمة ، ولا أعظم لتبعة ولا أحرىٰ بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها . .

والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا فيه من الدماء يوم القيامة .

فلا تقوين سلطانك بسفك دمٍ حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل ويزيله وينقله . . » .

الفصل الخامس

«عدم إمهال العدو»

فيما يتعلق بموقف المجتمع الإسلامي تجاه أعداء الثورة «سواءٌ الأعداء في الداخل والخارج» ، فيما يتعلق بذلك ، ذكرت في نهج البلاغة ، قاعدةٌ عامةٌ ، يجب على المجتمع الثوري بموجبها ، أن لا يفقد في أي وقت زمام المبادرة في يده ، ونص كلام الإمام عليه السلام هو : ـ «من نامَ لم يُنَمْ عنه» .

وهذا النص أورده الإمام (ع) في نهاية الرسالة التي بعثها مع مالك الأشتر لأهل مصر ، وحرضهم فيها بشدة ، لقتال جيش معاوية ، وفي كلام آخر له (ع) يشيرُ إلى هذه القاعدة العامة منبهاً في خطابهم ألى أن لا تتصوروا أن إذا لم يكن لكم شأن بهم ، ولم تتهيأوا لجهادهم ، فأنهم سيتركونكم

وشأنكم ، كلا ، فالذي يدع العدو وشأنه في ساحة الأعمال الشاقة لن يدعه العدو وشأنه ، والذي وبدلاً عن إعداد الخطة لمواجهة العدو ينامُ على أمل . أن لا يحدث شيئاً . . عليه أن يعلم أن العدو يستفيدُ من هذه الفرصة ، ويظلُ يقظاً ويخطط ويسقطه بالتالي .

وفي كلام آخر له عليه السلام ، يتذمر الإمام بشدة من أن الناس تركوا زمام المبادرة في الجهاد ضد معاوية وتجاهلوا وصايا قائدهم ، ويقول عليه السلام في هذا الصدد : ـ

«إلا واني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلتُ لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غُزيَ قومٌ قط في عقر دارهم إلا ذلّوا»[1] .

بعد أن نقض طلحة والزبير عهودهم مع الإمام (ع) ، كان الإمام يناقش خطة قتالهم ، وإذا بأحد أصحاب الإمام (ع) يصدُه عن ذلك لأن موضوع الحرب لم يُطرح حتى ذلك الوقت من قبل طلحة والزبير ، ولم يعد هؤلاء العدة لمهاجمة جيش الإمام (ع) فقال الإمام ضمن جوابه على صاحبه ذاك

«والله لا أكون كالضبع ، تنامُ على طول اللدم ، حتى

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٧ .

يصلُ إليها طالبها ويختِلَهَا راصدها ، ولكني أضربُ بالمقبل إلى الحق المدبَّر عنه ، وبالسامع المطيع ، العاصي المريب أبداً . . . »[1] .

بعد حرب النهروان والإنتهاء من أمر الخوارج ، كان الإمام يرجح أن يتحرك الجيش من هناك إلى الشام مباشرةً ، وينهي أمر معاوية دفعةً واحدة ، ولكن الجيش لم يكن موافقاً له على ذلك ، الإمام (ع) كان قلقاً للغاية من أن تضيع الفرصة ، ويجد العدو الفرصة لتجديد قواه والإستعداد للهجوم مرةً أُخرىٰ ولكن ومع ذلك لم يكن أمامه عليه السلام إلا النزول عند رأي الجيش هنا ألقىٰ الإمام (ع) خطبةً غاضبة حذر فيها قواته من نتائج هذا التهاون والضعف وقال عليه السلام : ـ

«والله إنَّ أمرءاً يُمكن عدُوَّهُ من نفسه يعرق لحمه ويهشمُ عظمه ويفري جلده ، لعظيمٌ عجزُهُ ، ضعيفٌ ما ضُمّت عليه جوانحُ صدرِهِ ، أنت فكن ذلك إن شئت فأما أنا ، فوالله دون أن أعطىٰ ذلك ضرب بالمشرفيّة[2] تطيرُ منه فراش الهام ، وتطيحُ السواعدُ والأقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء»[3] .

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٦ .

(٢) المشرفية نوعٌ من السيوف العربية .

(٣) نهج البلاغة خطبة رقم ٣٤ .

الفصل السادس

«عدم التضحية بالقيم من أجل المصالح»

إن أكثر الأمور حساسيةً والتي ينبغي لقادة الثورة الإسلامية أن ينتبهوا إليها فيما يتعلق بديمومة هذه الثورة ويعرفوا أنها أهم مسؤولية تقع على عواتقهم هي ان لا يضحوا أبداً وبأية ذريعة كانت ـ بالمبدئية من أجل انتصارات سياسية أو عسكرية مؤقتة .

وبعبارة أُخرىٰ ان لا ينسوا إسلامية الثورة ومبدئيتها ومبادئها وقيمها ، وأن لا يلجأوا إلى قاعدة «الغاية تبرر الوسيلة» ، ولا يضحوا بالحق من أجل المصالح ، توهماً منهم أن ذلك يُديمُ الثورة ويخلصها من خطر أعدائها .

وإذا لم تكن الظروف مناسبةً قد تنهزم الثورة ظاهرياً ،

لكن المبدأ باق وليقودوا الثورة بقيادة علي .

إن واحدةً من الأبعاد الحساسة والتربوية في نهج البلاغة ، مسألة طريقة قيادة الثورة في حالة كون أن المسيطر على المجتمع ، جوٌّ غير مناسب ولا ملائم .

فإذا تحول الجو المسيطر على المجتمع بعد الثورة إلى الصورة التي لا يمكن معها إدامة السلطة والمحافظة على النظام إلا باللجوء للقوة والظلم والقمع والإرهاب ولو بصورة محدودة وبسيطة ، فماذا ينبغي أن يكون العمل في هذه الصورة ؟ ! .

يوجد هناك رايات بهذا الخصوص : ـ

الأول ، منطق أولئك الذين يقولون أن الغاية تبرر الوسيلة ، وأن يُضحىٰ بالمصلحة الهامة من أجل المصلحة الأهم ، وعلى هذا فما دام هدف الثورة هو إنقاذ وتحرير الجماهير ، فلا مانع إذن من أن يُظلم أفرادٌ معدودون .

الرأي الثاني وهو الذي يمثلُ منطق الإسلام ، وهو أن السواد لا يمكن أن يُزال بالسواد .

إن منطق علي عليه السلام : هو أن الهدف مهما كان كبيراً لا يمكن أن يبيح الظلم ، ولعل هذا المنطق هو الذي كان سرُ هزيمته عليه السلام الظاهرية ، في سوق السياسة ـ بمعناها

المتعارف ، وكما يقول الأُستاذ الشهيد العلاّمة المطهري .

لقد أصبح التمييز الطبقي ، واستمالة الأعوان ، وتأسيس الأحزاب ، وسدّ الأفواه بالأموال ـ لقد أصبحت كلُ هذه من الوسائل ضرورية للسياسة والتدبير في ذلك الوقت ولكن لقد أخذ زمام الأمر اليوم وأصبح ربّان السفينة رجلٌ هو العدو اللدود لهذه «الوسائل الضرورية» بل وإن هدفه وطموحه هو أن يكافح هذا النوع من السياسة .

وطبيعي حينئذٍ أن يتضرر أرباب الطمع ورجال هذا النوع من السياسة منه منذ اليوم الأول ، وبالتالي أن يجرهم تضررهم هذا إلى التخريب في الأمور وإثارة الإضطرابات والقلق .

بل وحتى وصل الأمر بأن يهرع إلى الإمام (ع) أصحابه الخيرون ويطلبوا منه ناصحين باخلاص أن يعدل من سياسته هذه لمصلحة أهم وأعظم ، وأن يقترحوا عليه أن يريح نفسه من هذا الصراع وتلك الضجة التي يُثيرها أُناسٌ متنفذون مُنذ الصدر الأول الإسلام كمعاوية بن أبي سفيان حاكم أراضي الشام الذهبية ، فما المانع من السكوت عن موضوع المساواة والعدل اليوم من أجل (المصالح) ؟ ! .

أجاب الإمام (ع) :

«أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور ؟ ! . . والله ما

أطور به ما سمر سميرٌ وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً ، لو كان المال لي لسويتُ بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله . . . »[1] .

نعمٌ . . الإمام عليه السلام كان يعرف كيف يمكن وفي ظل الظروف القائمة آنذاك حيث تفتقدُ الجماهير للنضوج الفكري والتربية الإسلامية ، كيف يمكن إسكات الجميع وتثبيت الحكم ولو لفترة مؤقتة ، ولو كان يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة لشهد التاريخ بأي إقتدار وجدارة يستطيع أن ينفذ ذلك ولكنه (ع) كان يرىٰ في زواية أُخرىٰ إن هذا السلوك لا ينسجم ومبدئية الثورة .

في الخطبة ٦٩ يصرح الإمام بهذه الحقيقة ، ففي هذه الخطبة يعاتب أصحابه اللذين سببت أعمالهم إيجاد جوٍّ مضادٍ لديمومة الثورة الإسلامية ثم يقول عليه السلام : ـ

«كمْ أُداريكم كما تُدارىٰ البكار العمدة والثياب المتداعية . . . كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر ، كلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كلُ رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جُحرها والضبع في وجارها . الذليلُ والله من نصرتموه . . إنكم والله لكثيرٌ في

---

(١) في رحاب نهج البلاغة ص١١٥ ـ ١١٧ من الطبعة الفارسية .

الباحات ، قليلٌ تحت الرايات . وإني لعالم بما يُصلحكم ويُقيمُ أَودَكم ولكني والله لا ارىٰ إصلاحكم بإفسادِ نفسي»[1] .

نعم إن الإمام عليه السلام كان يعرف جيداً أن بإعطاء الإمتيازات للوجهاء ذوي النفوذ وبفرض بعض الضغوط على الناس وممارسة بعض الإرهاب وسجن طائفةٍ وإعدام أُخرىٰ وما يؤدي إليه في حبس الأنفاس في الصدور ، أنه بذلك يستطيع إعداد الجند وتعبئة الجيش نحو محاربة العدو دون احتياج إلى موعظة وترجي ولكنه لو فعل ذلك لما ظل «عليّاً» ، فهو يريد الحكم من أجل الإسلام وقيمه وإقامة العدل الحق وإزهاق الباطل لذا لم يكن على استعداد لنحرِ القيم من أجل المصالح .

لقد جاء الحجاج بعد علي عليه السلام ليتسلط على أهل الكوفة وليسوقهم أنفسهم بالسيف[2] ويخضعهم لما يريد دون موعظة ونصيحة . . .

نعم . . . فالأُمّة التي لا تثبت جدارتها للحكم العلوي لهي جديرة بحكم الحجاج . . . نسأل الله أن لا تكون أُمتنا كذلك .

الجمعة ١٢/ ٢/ ١٣٥٩

---

(١) نهج البلاغة تنظيم صبحي الصالح خطبة رقم ٦٩ .
(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي ج٣ صفحة ١٣٣ ـ ١٣٧ .

الفهرس

المقدمة ٥

القسم الأول
مسؤوليات الشعب تجاه ديمومة الثورة الاسلامية

الفصل الأول: حفظ الوحدة ١٥
الفصل الثاني: الجهاد الأكبر ٣٧
الفصل الثالث: خطر الحركات الملفقة ٤٧
الفصل الرابع: ديمومة القيادة المبدئية ٥٣
الفصل الخامس: لا لصنمية الشخصيات ٦١
الفصل السادس: لا للخوف من الموت الأحمر ٦٩
الفصل السابع: مكافحة الذنب ٧٥
الفصل الثامن: الثورة الثقافية ٧٩
الفصل التاسع: تشخيص المنافقين ٨٩

القسم الثاني
مسؤولية القادة تجاه ديمومة الثورة الاسلامية

الفصل الأول: القيادة على أساس الإمامة ١٠٥
الفصل الثاني: استئصال جذور الاستضعاف ١١١
الفصل الثالث: الثورة الادارية ١١٧
الفصل الرابع: سفك الدماء بغير الحق ١٢١
الفصل الخامس: عدم إمهال العدو ١٢٣
السادس: عدم التضحية بالقيم من أجل المصالح ... ١٢٧
الفهرس ١٣٣

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٨٢١٢٠٣
ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان